الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر ونصفه

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

بدل الاشتراك
ص
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة فى الخارج
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد السابع « القاهرة فى يوم السبت ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٥١ — ١٥ ابريل سنة ١٩٣٣ » السنة الأولى

فهرس العـــدد

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ بالقاهرة

فى العيـــد...

فى ذات مساء اشـــتد فيه الصراع بين بواكر الربيع وأواخر الشتاء، ارتفع من بين ضجيج القاهرة ولغط النهار الراحل، طلقات ضعيفة من مدفع عتيق.. وتألقت فى شرفات المآذن الشم مصابيح الكهرباء بغتة... فعلم الناس بمقتضى التقاليد أن غداً يوم العيـد..!

راح قوم يقضون ليلهم بين وحشة القبور ورهبة الموت، فى غير إدّكار ولا اعتبار ولا خشية! وبات آخرون يتعهدون كِباش الأضاحي بالعلف، ويشحذون لصباحها المدى والسواطير....!

وأصبحت القـاهرة دامية البيوت، حامية المطابخ، شـديدة الجلبة؛ وبيوت الله التى نزل فيها العيد من السماء، تنتظر المؤمنين للصلاة والدعاء، فلم يَغْشَها إلا فئات من العمال والبوابين والخدم!.

أما السَّراة والأوساط، فقد خرجوا فى هندام الأمس، واهتمام اليوم، يستقبلون العيد فى القهوات والحانات، بين لعبة النَّرد الصاخبة، وأحاديث الدواوين المعادة! فاذا تلاقى فى الطريق صديقان، أو تراءى فى القهوة قريبان، تبادلا بفتور تحية العيد، ثم مضى كل منهما لشأنه!!

***

ذلك هو العيد أو ما يقاربه فى مصر وفى سائر البلاد العربية . ! فلولا مرح طافر يقوم بالأطفال فى هذا اليوم لعطلة المدارس ، وجدّة الملابس ، وسحر النقود ، وفتنة اللُّعَب لمرَّ كسائر الأيام حائل اللون تافه الطعم بادى الكآبة !

فليت شعرى ماذا حاق بنا من الأحداث والغِيَر حتى غاضت ينابيع المسرة فى القلوب ، وماتت أحاسيس البهجة فى النفوس ، وتحللت أواصر المودة بين الناس ، وآل أمر العيدين — وهما كل مابقى فى أيدينا من مظاهر الوحدة الدينية والعزة القومية — الى هذه الصورة الطامسة والحال البائسة ؟ !

لا نستطيع أن نتهم حسرة الحزن على الماضى ، وذلة الضعف فى الحاضر ، فان أعياد اليهود وإن فقدت بذلك مظهرها الاجتماعى ، لم تفقد روعة الدين فى الكَنيس ، ومتعة الأنس فى البيت ، وجمال الذكرى فى الخاطر .

وأعياد اخواننا فى الوطن والجنس والمجد والأسى من نصارى الشرق لا ينقصها الرواء والاخاء واللذة .

كذلك لا نستطيع أن نتهم المادية والمدنية ، فانهما — وإن جنَتا على بعض الأخلاق الكريمة كالأخاء والاخلاص والمروءة والرحمة — لم تجنيا على نزعات السرور فى النفوس ، ولم تقضيا على غرائز اللهو فى الطباع ، بل ازداد الناس بهما فى ذلك شراهة وحدّة :

والأعياد الأجنبية التى تشهدها مصر فى ذكرى الميلاد ورأس السنة غاية فى نعيم الروح والجسم ، وآية فى سلامة الذوق والطبع ، وفرصة ترى فيها القاهرة — وهى متفرجة — كيف تفيض الكنائس بالجلال ، وتزخر الفنادق بالجمال ، وتشرق المنازل بالأنس ، وتمسى الشوارع وبيوت التجارة ودور اللهو مسرحا للحسن ، ومعرضا للفن ، ومهبطاً للسرور ، وتصبح أعياد القلة القليلة مظهراً للفرح العام ، ومصدرا للابتهاج المشترك !

وهى من وراء ذلك كله من أقوى العوامل فى توثيق العلاقة بين الله والانسان بالصدقات ، وبين الاصدقاء والاقارب بالهدايا ، وبين الكبار والصغار باللُّعَب . وبين الانسان والانسان بالمودة

* * *

إذن ماهى الاسباب الصحيحة التى مسخت حياتنا هذا المسخ ، وشوهت أعيادنا هذا التشويه ، فجعلت أظهر المظاهر فيها خروفا يذبح ولا يضحَّى ، ومدافع تساعد المآذن ولا تجاب ، وأياما كنقاهة المريض كل ما فيها همود ونوم وأكل ؟ ؟

الحق أن لذلك أسبابا مختلفة ، ولكنها عند الروية والتأمل ترجع إلى سبب رئيسى واحد : هو غيبة المرأة عن المجتمع الاسلامى . . . ذلك السبب هو علة ما نكابده من جفاء فى الطبع ، وجفاف فى العيش ، وجهومة فى البيت ، وسآمة فى العمل ، وفوضى فى الاجتماع .

كرهنا الدور لاحتجاب المرأة ، وهجرنا الاندية لغياب المرأة ، وسئمنا الملاهى لبُعد المرأة ، وأصبحنا كالسمك فى الماء ، او الهباء فى الهواء ، نحيا حياة الهيام والتشرد ، فلا نطمئن إلى مجلس ، ولا نستأنس لحديث !

فاذا لم تصبح المرأة فى البهو عطر المجلس ، وعلى الطعام زهر المائدة ، وفى النّدِى روح الحديث ؛ وفى الحفل مجمع الافئدة ، فهيهات أن يكون لنا عيد صحيح ، ومجتمع مهذب ، وحياة طيبة ؛ وأسرة سعيدة ! .

أحمد حسن الزيات

التجديد فى الأدب

للأستاذ أحمد أمين

٢

عرضت فى مقالى السابق للبحث فى الألفاظ وما تتطلب من جدة ؛ واليوم أعرض لضرب آخر من ضروب التجديد وهو التجديد فى العبارة . وأعنى بالعبارة الجملة التى يؤدّى بها المعنى على اختلاف ألوانها ، من حقيقة ومجاز وتشبيه واستعارة وكناية .

ومما لا شك فيه أن البليغ يستمد تشبيهاته واستعاراته وما الى ذلك مما يحيط به من بيئة طبيعية واجتماعية . فالأدب الجاهلى — مثلا — صورة صادقة لمعيشة العربى فى الجاهلية ؛ اذا بكى ، فانما يبكى الأطلال والمنزل الداثر والرسم العافى . واذا رحل ، فعلى ناقة أو بعير . واذا أعجبه نبت ، فالشيح والقيصوم ، والخزامى والعَرار . واذا ذكر النسيم ، فصبا نجد . واذا حن الى مكان ، فموطنه من الرقمتين ورَضوى وثَبير . كذلك كان فى تشبيهاته واستعاراته وأمثاله : يستوحى ما يحيط به ، ويستلهم ما يقع حسه عليه . فقال : استنوق الجمل ، وهو أعز من الأبلق العقوق ، وأبدت الرغوة عن الصريح ، وهم أكثر من الحصى ، وهو ليث غابة ، وما تُحَلُّ حَبْوته ، وألقى حبله على غاربه ، وقصُرت الأعنة ، واشتجرت الأسنة ، وزلزلت الأقدام من رنين القِسِى ، وقراع الرماح ، وطحنهم طحن الرحى ، ومطله مطل نعاس الكلب ، وكالباحث عن حتفه بظلفه ، وحط راحلته ، وضرب أوتاده ، وألقى عصاه ، والقافلة تسير والكلاب تنبح . الى كثير من أمثال ذلك - فهم فى كل هذا يصفون حياتهم ، ويشتقون منها تشبيهاتهم ، ويضربون منها أمثالهم .

وتتابع أدباء العرب بعدُ يزيدون فى التعبير ، تبعاً لتغير المعيشة الاجتماعية ، وتقدمهم فى الحضارة . فقالوا : صندل الشراب وعنبره — وكأن أخلاقه سبكت من الذهب المصفى — ويكاد يسيل الظرف من أعطافه ، ويمازج الأرواح لرقته — قد دس له الغدْر فى الملَق — وهو من صيارفة الكلام ، يتطفل على موائد الكتاب — وكأن ألفاظه قطع الرياض ، وكأن معانيه نسم الآصال . وهكذا كانت العبارات المحدثة فى العصر العباسى تخالف من وجوه كثيرة العبارات الجاهلية والأموية .

وقد جارى المؤلفون الأدباء : يدونون ما اخترعوا ، ويقيدون ما أبدعوا . فرأينا عبد الرحمن الهمذانى يجمع فى كتابه (الألفاظ الكتابية) العبارات المختارة من جاهلية واسلامية ورأينا الحصرى يملأ كتابه (زهر الآداب) بفصول يعنونها « ألفاظ لأهل العصر » يجمع تحتها ما اخترعه أهل عصره من تعبير رقيق وتشبيه أنيق . ونهج المؤلفون بعد هذا المسلك حتى كان خاتمتهم ابراهيم اليازجى فى كتابه « نجعة الرائد وشرعة الوارد » جمع فيه أحسن العبارات والألفاظ مما قال السابقون والمحدثون الى عصره .

وبعد ، فلو قارنا بين الأدب العربى الحديث ، والأدب الغربى فى هذا الباب ، أعنى باب العبارة ، وجدنا فى أدبنا العربى قصوراً ظاهراً ، وضعفاً بيناً .

ذلك أن الأدب الغربى ساير الزمن ، واعترف بكل ما حدث فيه ، واستمد منه ، على حين أن الأدب العربى الحديث أغمض عينه عن كل ما كان ، ولم يعترف بوجوده . نظر الأدب الغربى الى ماضيه وحاضره ومستقبله ؛ ولم ينظر الأدب العربى الا الى ماضيه . وزّع الأدب الغربى لفتاته لينظر نظرة شاملة وثبّت الأدب العربى عينيه فيما وراءه ، فلم ينظر الا الى قديمه ، فكان ناقصاً ، لا يسايرنا ولا يصفنا ولا يمس حياتنا ، وانما يمس حياة آبائنا .

اعترف الادب الغربى بالادب القديم فأخذ منه خيره ، واعترف بالدنيا الحديثة فاستمد تشبيهاته واستعاراته منها - رأى فى دنياه مخترعات ومستكشفات لا حد لها من كهرباء ومواد كيميائية وطيارات وغواصات وغازات وأضواء وراديو ومالا يحصى كثرة . كل هذه الاشياء قلبت الحياة الاجتماعية رأسا

على عقب. فلماذا لا تقلب الأدب ؟ فأقبل الأديب عليها يتعرفها ويستلهمها تشبيهات واستعارات عصرية طريفة، فكان له منها ما أراد

ورأى الأديب علم النفس ينمو ويرقى ويحلل أعمال الانسان تحليلا علمياً دقيقا، ويعرض لكل المظاهر اليومية من ابتسامة وعبوس ورضى وغضب، فأخذ بحظ وافر منه واستعان به فى أدبه وتعبيراته حتى استطاع أحد الكتاب الفرنسيين (وهو مارسل بروست(Marcel Proust) أن يحلل ابتسامة سيدة فى ست صفحات، ورأى نظما فى الحكم تقوم وأخرى تسقط وكان لها من الأثر فى حياة الناس وعقليتهم مايخيل اليك معها أنهم أصبحوا بها خلقا آخر، فجعل يتتبع هذه التغيرات ويقتبس منها ماشاء ذوقه الأدبى

كل هذا وأمثاله جعل الأدب الغربى يسير محاذيا لكل نظم الحياة ويشاركها فى رقيها واتجاهها، إن استضاء الناس بمصباح كهربائى فالأدب يعبر عنه ويستعير منه ويشبه به، وإن كان نظام الحكم ديمقراطيا فالأدب ديمقراطى، والصور التى يصورها ديمقراطية، ويتعمق السيكولوجى فى بحثه فيتعمق الروائى فى تحليل شخصيات روايته، وهكذا كانت الاختراعات والصناعات والعلوم ونظم الحكم والسياسة والأدب تسير معاً، لا يخطو عنصر منها خطوة إلى الامام حتى يدرك الآخر سر تقدمه فيعمل على أن يحتذيه. أما الأدب العربى فيحارب متراليوزا بقوس وسهم، ويضىء فى أدبه سراجا بزيت، والناس اليوم قادمون على أن يغيروا المصباح الكهربائى بخير منه، ويبكى الأطلال ولا أطلال، ويحن إلى سلع ولا سلع، ويستطيب الخزامى والعرار ولا خزامى لدينا ولا عرار. من الحق أن نحب القديم الجيل ونحفظه ونتعلم منه ونعجب بما فيه من مظهر عاطفة حية وشعور قوى، ولكن لا ننشئه. وإذا قلناه وجب أن نقول معه ما نحياه ونعيش فيه

إذا أنت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

وقفت العبارة العربية حيث كانت فى العصر العباسى، ولم تتقدم إلا قليلا بما اقتبس من الأدب الغربى، والذى نتطلبه من التجديد فيها أن نستمد من حياتنا الواقعية، ومن كل ما يحيط بنا جملا حية تلائم مافى نفوسنا، وأن نخترع عبارات من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنايات نستمدها من الحياة التى نعيشها، والمخترعات التى نستخدمها، وما وصلت اليه علوم النفس والاجتماع والسياسة والاقتصاد

. . .

وقد عاق الأدب العربى الحديث عن الوصول إلى هذه الغاية عوائق كثيرة أهمها :

(١) ما سبقت الاشارة اليه من أن المخترعات ليس لها أسماء، وأن أئمة اللغة لم يرضوا أن يستعملوا الكلمات الأجنبية ولا وضعوا لها أسماء عربية، وتركوا الأدباء فى حيرة من أمرهم، فكيف يستطيعون أن يستلهموها فى جملة لتكسب المعنى قوة، وهم يفرون من التلفظ بها، ويخشون من علماء اللغة استعمالها، لذلك رضينا من الأدب بالعدول عنها جملة وتفصيلا، حقيقة ومجازا. وبهذا سد أمام الاديب العربى باب من أوسع الابواب وأغزرها فائدة.

(٢) وسبب آخر من أهم الأسباب فى فقر الأدب العربى فى التعبير، هو أن الادب العربى الحديث أدب أرستقراطى لا أدب شعبى، وأعنى أرستقراطية العلم لا أرستقراطية المال، ذلك أن الأدب الانجليزى أو الفرنسى أو الالمانى، أدب شعب لا أدب طبقة خاصة — نعم قد يرقى الادب الانجليزى مثلا — فلا يفهمه إلا الراقون، ولكن بجانبه أدب انجليزى شعبى، لا يختلف عن أدب الخاصة فى ألفاظه وتراكيبه وان اختلف فى دقة المعنى وبساطته — أما الادب العربى فأدب خاص لطائفة المتعلمين تعلماً راقياً فحسب، لا يشاركهم فيه العامة واشباه العامة، وللعامة أدب بلدى خاص، يستمتعون به فى أغانيهم ونكتهم وزجلهم وموالياتهم — وحتى الخاصة، لا يتذوقون الادب العربى إلا فى الكتب والمجلات والجرائد، أما أحاديثهم وتنادرهم وفكاهاتهم فباللغة العامية، وليست أمة من الأمم الحية الآن بين لغتها اليومية ولغتها الادبية من الفروق مابين اللغة العربية واللغة العامية.

نتج من هذه الظاهرة نقص كبير فى الأدب العربى الحديث، لان استعمال الكلمات والعبارات فى البيت وعلى المائدة وفى

الشارع يكسبها حياة قوية ويزيدها صقلا ومرونة ، ولو اقتصر فى استعمالها على الكتب كانت حياتها ناقصة ، لا يهذبها الاستعمال ولا يرقيها الصقل اليومى . وحسبك دليلا على ذلك أن النكت والنوادر وهى من أهم أركان الأدب لا تجد منها سائغا عذبا فى أدبنا العربى عشر معشار ماتجده فى الأدب العامى ، وأن النادرة تحكى بالعامية فتضحكك إلى أقصى حد ، ثم تحكيها باللغة الفصحى فتخرج باردة تافهة ، وأن كثيراً من الألفاظ والتعبيرات العامية قد أفادها الاستعمال روحاقوية ، فاذا عبرت عنها بالعربية لم تجد لها من التعبير قوة العامية وحسن دلالتها على المعنى

وكل أمة قد كسبت من توحيد لغتها الكلامية والكتابية مالا يقدر ، فقد أصبح الشعب كلها منتجاً أدباً وتعبيراً قويا ، وأصبح الحديث على المائدة وفى حجرة الجلوس وفى التمثيل والسينما يخرج أدبا جديداً ويحيى أدبا قديما ، والأمة كلها تتعاون فى الانتاج الأدبى ، هذا بتعبيره الرقيق ، وهذا بنكته ونوادره ، وهذا بقصته وأمثاله ، وهذا بشعره ، وهكذا

وليس كذلك الحال فى الأدب العربى ، فالأمثال والنوادر والحكايات باللغة العامية ، والأحاديث اليومية وقضاء كل شؤون الحياة باللغة العامية ، وليس للغة العربية إلا الكتاب وما إليه — ولذلك أصبح عندنا أدبان أدب أرستقراطى هو هذا الشعر والكتب التى تؤلف ، والمجلات والجرائد التى تنشر وأدب شعبى هو الزجل والاغانى والحواديت وما إليها ، وبين الأدبين فواصل كبيرة وحواجز متينة ، وفى هذا ضرر كبير على الأمة والأدب معا ، أما الأمة فلأن شعبها لا ينتفع بنتائج المتعلمين منها ، وأما الأدب فلأنه ليس أدبا صحيحاً ، إذ الأدب الصحيح هو ما كان ظلا لحياة الأمة الاجتماعية كلها لا لحياة طبقة خاصة منها

ولا أمل لحياة الأدب العربى من هذه الناحية إلا بازالة الحواجز القوية بين العامية والعربية ، على أى وجه يرضاه قادة الأمة ، ويحفظ للغة العربية مكانتها من حيث هى لغة الدين ورابطة الشعوب الشرقية . إذ ذاك تصبح اللغة حية ، والتعبيرات حية ؛ وإذ ذاك تزول الحيرة التى نعيش فيها الآن ، فانك تستعمل اللفظ العامى والعبارة العامية ، فلا تجد لها نظيرا فى العربية ، وان وجدت لها نظيراً فنظير ميت ليس فيه حياتهما . كنت أقرأ الآن فى جريدة فوجدت فيها كلمة « بعبع » وكنت أسمع فسمعت من يقول : انه بيت « مُبَهْوَأ » ومن يقول « رزق الهبل على المجانين » . ووجدتنى اذا أجهدت نفسى قد أعثر على تعبيرات عربية مرادفة لها أو قريبة منها . ولكن ليس فيها حياتها ، لأن الحياة وليدة الاستعمال ، وأريد الاستعمال الشعبى . وهذا أحد الأسباب فى أن مقالات الأستاذ فكرى أباظه ، والمجلات الهزلية ، والهزلية الجدية ، لها من الرواج فى أوساط الجماهير ما ليس لغيرها ، وتتفتح لها نفوس شعبية أكثر مما تتفتح للمقالات العربية الصرفة ؛ وترن الكلمة أو العبارة فى الأذن رنيناً دونه رنين العربية الكلاسيكية .

(٣) وسبب ثالث هو أن الحواجز عندنا بين العلم والأدب قوية متينة ، وان شئت فقل إنه ليس هناك صلة بين كلية العلوم والآداب ، وأن الثقافة التى يتثقفها الأديب ينقصها — غالباً — قدر ضرورى صالح من المعلومات العلمية ، تجعله يستطيع أن يلم إلماماً ما بالمخترعات والمستكشفات ، ويستغلها فى أدبه . وهذا القدر يلقفه الأديب الأوربى فى بيته وفيما يقع فى يده من كتب ومجلات أولية ، ثم فى مدرسته . وأدباء الطبقة الأولى منهم كانوا على حظ عظيم من الثقافة العلمية استغلوها فى منتجاتهم ، فأصبحت هناك أنواع من الأدب ، ومن التعبيرات والتشبيهات القوية التى تعتمد على الثقافات العلمية ، أخذها منهم الشعب واستساغها . أما برنامج الأديب العربى فقاصر من هذه الناحية كل القصور ؛ ولذلك كان نتاجه قاصراً كل القصور .

وهناك أنواع من التجديد فى الأسلوب والموضوع والنثر الفنى والشعر والقصة وغيرها ، نعرض لها فيما بعد . ؟

التجديد فى الادب

جاءنا بعض ردود على مقالة الأستاذ احمد أمين فى التجديد فى الادب ننشرها فى العدد التالى

زرياب المغنى

للأستاذ عبد الحميد العبادى

- ٢ -

إذا قدر للأندلس أن يكتب تاريخها الفنى والاجتماعى، فلا شك أن أنضر صفحة فى ذلك التاريخ المجيد وأعجبها تكون صفحة أبى الحسن على بن نافع المغنى الملقب بزرياب. فهو رجل استطاع وحده أن ينقل أمة بأسرها من حال البداوة الى حال الحضارة. وذلك بشيئين اثنين: تحبيب الموسيقى اليها، وتنظيم حياتها اليومية.

***

فتح المسلمون الأندلس فى العقد الأخير من القرن الأول الهجرى، وانتشرت قبائلهم العربية والبربرية فى بسائطها وحزونها ولكنهم ظلوا حتى أواخر القرن الثانى بداة جفاة كلما اجتمعت كلمتهم لم يلبثوا أن تفرق بينهم الأحن والعداوات المنبعثة عن العصبية القبلية، فكأنهم لا يزالون ضاربين فى هضاب نجد وسهول تهامة ومفاوز افريقية. ثم أخذت شئونهم السياسية تستقر وتتسق بفضل مجهودات المتقدمين من أمراء الدولة الأموية الأندلسية: عبد الرحمن الداخل، وهشام، والحكم، وعبد الرحمن الأوسط. أما الأحوال الاجتماعية فظلت على ما كانت عليه فسادا واضطرابا.

وعلى العكس من ذلك كان المشرق الاسلامى فى ذلك الزمان فقد استبحر فيه العمران وبلغت المدنية الاسلامية فيه غايتها، وتعلق فيه ذوو الدعة واليسار بأسباب الكمالى من شئون الحياة، بعد أن استكملوا الضرورى، والحاجى منها على حد تعبير ابن خلدون. وقد ساعفهم فى ذلك عامل الدين وعامل التاريخ معاً فاما المعتدلون منهم فكانو يستندون الى أن الدين الاسلامى دين يسر يحب من المؤمن أن يكون هينا لينا موفور الحظ من الظرف والكياسة غير فظ ولا غليظ القلب، ولا ناس نصيبه من الدنيا. وأما المتطرفون فوجدوا فى تقاليد الفرس والروم الاجتماعية ما جعلهم يؤثرون العاجلة ويحرصون على لذة الحياة الدنيا ومتعها، أيا كانت الطرق الموصلة اليها.

وقد تألفت من هؤلاء وهؤلاء طبقة ارستقراطية، مرهفة الأذواق، رقيقة الطباع، ترى فى الموسيقى، ومجالس الأنس والطرب، وحفلات السمر خير ما ينقعون به غلة تلك الأذواق المرهفة والطباع المترفة. هذا هو السبب المباشر فى تقدم صناعة الغناء فى ذلك الزمان، وبلوغها الغاية على أيدى ابراهيم المهدى، وابراهيم الموصلى، وابنه اسحاق. وهذا هو السبب كذلك فى استفاضة مجالس الأنس والطرب لذلك العهد فى مدن الشرق الأسلامى عامة وبغداد خاصة، وفى بلوغ هذه المجالس درجة من التأنق يمكن تصورها إذا عرفنا أنهم وضعوا لها آدابا كانوا يأخذون بها من يحضرها من الندماء، والجلساء، والسمار.

من ذلك أن يكون الغناء قوامها، وأن يحتفل لها بلبس الثياب المصبغة الأنيقة، وأن يزين المجلس بالأزهار والرياحين، والا يحضرها إلا من كان مهذباً، خفيف الروح، حاضر البديهة، قادراً على قول الشعر وارتجاله، فضلا عن تذوقه وروايته عند ما يقتضى المقام ذلك.

الى هذا المشرق اتجه أمراء بنى أمية الأندلسيون، وهم أبناء خلائف دمشق ورصافتها، يستهدونه فنانين ومعلمين يهذبون ما غلظ من طباع العرب والبربر والمولدين، وينظمونها جميعاً فى نسق واحد. وقد أهدى المشرق الى المغرب غير واحد من المغنين أمثال علون، وزرقون، ولكن زريابا كان أعظم هؤلاء جميعا وأبعدهم أثراً.

***

كان أبو الحسن على بن نافع مولى للخليفة المهدى العباسى، ولسواد لونه، وحلاوة شمائله لقبوه بزرياب تشبيها له بطائر أسود غرد يعرف عندهم بهذا الاسم. وقد تكاملت لزرياب كل أسباب النبوغ والتفوق موهوبها ومكسوبها، فكان شديد الذكاء، لطيف الحس عارفا بالنجوم والجغرافية، شاعراً فصيح الشعر. غير أنه كان الى الغناء أميل وبه أشغف، وقد درسه علما فى كتب الأقدمين من حكماء اليونان، وعملا على استاذه اسحق الموصلى زعيم المغنين فى ذلك الوقت، ولشدة افتتان زرياب بالموسيقى كان تفكيره فيها لا يكاد ينقطع حتى أنه ليلهم النوبة والصوت وهو نائم، فيهب من نومه مسرعا، ويقيد ما وقع له أو يلقيه على جاريتيه غزلان وهنيدة، ثم يعود الى مضجعه عجلا، ومن ثم قيل انه كان يأخذ ألحانه عن الجن كما قيل فى ابراهيم الموصلى نفسه. قالوا وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغانى بالحانها. ولم يأل زرياب جهداً فى أن يأخذ نفسه بالأدب الرفيع والسلوك العالى المصطلح عليه فى البيئة التى كان يعيش فيها ببغداد، بيئة البلاط وقصور الأمراء ورؤساء الدولة العباسية.

ويذكرون أن السبب فى هجرة زرياب من المشرق الى المغرب، انه غنى يوما فى حضرة هارون الرشيد، فأخذ الخليفة

بصناعته وظرفه وطلب الى اسحق أن يغنى به حتى يفرغ لسماعه . ولكن اسحق لم يلبث أن تحركت فى صدره عوامل الغيرة والحسد والحقد على تلميذه ، فخلا به وخيره بين الموت والحياة ، بين أن يقيم ببغداد فيعرض حياته للهلاك ومهجته للتلف ، وبين أن يذهب فى أرض الله العريضة فينجو بحياته ، ووعده اذا هو اختار ثانى الأمرين أن يعينه على الرحيل بما شاء من المال ، وغير المال . فاختار زرياب الرحيل عن المشرق بأسره ، ووفى له اسحق بما وعده به من المعونة .

وتذكره الرشيد بعد أن فرغ من شغله الذى كان منهمكا فيه وطلب الى أسحق أحضاره فقال « ومن لى به يا أمير المؤمنين ؟ ذاك غلام مجنون يزعم أن الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه ، فما يرى فى الدنيا من يعد له ، وما هو الا أن أبطأت عليه جائزة أمير المؤمنين ، وترك استعادته ، فقدر التقصير به والتهوين لصناعته ، فرحل مغاضبا ذاهبا على وجهه مستخفيا عنى ، وقد صنع الله تعالى فى ذلك لأمير المؤمنين فانه كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه ، فيفزع من رآه » . يقول المقرى « فسكن الرشيد الى قول اسحق وقال على ما كان به ، فقد فاتنا منه سرور كثير »

* * *

خرج زرياب يؤم المغرب ، فلما كان بافريقية اتصل بصاحبها زيادة الله الأغلبى . ولكنه لم يطب له المقام بها فرحل عنها الى المغرب الأقصى ، وهنا كتب الى الحكم بن هشام ، أمير الأندلس المعروف بحبه للموسيقى ، يستأذنه فى دخول الأندلس والصيرورة اليه ، فأذن له الأمير فى كل ذلك من فوره . وعبر زرياب البحر الى عدوة الأندلس ، وبينما هو يتأهب للرحيل الى قرطبة اذ سمع بوفاة الحكم فهم أن يعود أدراجه الى المغرب لولا أن كتب اليه الأمير الجديد ، عبد الرحمن الأوسط ، يستقدمه ويعده ان ينيله كل ما تصبو اليه نفسه من مال وجاه . فقدم عليه زرياب ، ويروون أن عبد الرحمن احتفل لمقدمه أعظم احتفال اذ خرج بنفسه من قرطبة لتلقيه . وما هو الا أن سمع غناءه وحديثه حتى شغف به فغمره بفضله وانعامه وأجرى عليه من الرواتب والارزاق الشيء الكثير ، حتى لقد كان يركب وبين يديه مائة مملوك . وقدمه الأمير على سائر المغنين وبلغ من شدة شغفه به أن جعل فى قصره باباً خاصاً يستدعيه منه كلما أحب سماع غنائه الرائع وحديثه العذب الطريف .

وقد لقى زرياب النعمة بمثلها وجزى المعروف بالمعروف ، ولكنه قصد الى ذلك من طريق غير مباشر ، قصد اليه من طريق النصح والاخلاص للاندلس التى أصبحت له وطنا ، وأهل الأندلس الذين أصبحوا أهلا له ومعشراً . فعكف على رفع مستوى الموسيقى الاندلسية وعلى النهوض بالمجتمع الاندلسى حتى يدانى المجتمع الشرقى ببغداد وقد وفق فيما قصد اليه كل التوفيق .

* * *

يمكن القول بأن زريابا نهض بالموسيقى الشرقية نهضة جديدة مطبوعة بطابعه وذلك بما أدخله على العود من اصلاح وتحسين ، وبما استن من طرق جديدة فى القاء الغناء وتعليمه . فقد اتخذ لنفسه وهو بالمشرق عوداً جعله على الثلث من وزن العود القديم ، وصنع أوتاره من حرير لم يغزل بماء سخن يكسبها أناثة ورخاوة ، واتخذ بمها ومثلثها من مصران شبل أسد « فلها فى الترنم والصفاء والجهارة والحدة أضعاف مالغيرها من مصران سائر الحيوان ، ولها من قوة الصبر على تأثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها » . فلما كان بالأندلس زاد أوتار العود الأربعة المقابلة للطبائع الأربع وترا خامسا يقوم مقام النفس من الجسد ، فاكتسب به عوده ألطف معنى وأكمل فائدة كما يروى المقرى . واتخذ مضراب العود من قوادم النسر بدلا من مرهب الخشب « وذلك للطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الأصابع وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته اياه » . وأما من حيث القاء الغناء فقد رسم زرياب أن يبدأ فى الالقاء بالنشيد بأى نقر كان ، ثم يؤتى فى أثره بالبسيط ويختم بالمحركات والأهزاج . أما مذهبه فى تعليم الغناء فيقول فيه المقرى « وكان اذا تناول الألقاء على تلميذ يعلمه أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة ، وأن يشد صوته جدا اذا كان قوى الصوت ، فان كان لينه أمره أن يشد على بطنه عمامة فان ذلك مما يقوى الصوت ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج على الفم فان كان ألص الأضراس لا يقدر على أن يفتح فاه ، أو كانت عادته زم أسنانه عند النطق ، راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع ، يبيتها فى فمه ليالى حتى ينفرج فكاه . وكان اذا أراد ان يختبر المطبوع الصوت المراد تعليمه من غير المطبوع أمره ان يصيح بأقوى صوته ياحجام ! او يصيح آه ! ويمد بها صوته ، فان سمع صوته بها صافيا نديا قويا مؤديا لا تعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس ، عرف ان سوف ينجب وأشار بتعليمه ، وان وجده خلاف ذلك أبعده » . هذه العبارة تشير فى صراحة الى ان زريابا أنشأ بالاندلس فى أوائل القرن الثالث الهجرى ما يصح أن نسميه بلغة الوقت الحاضر معهدا لتعليم الموسيقى الشرقية .

ولم يكن زرياب أقل ابتكارا فى شئون الحياة اليومية منه فى

مجال الموسيقى والفن . وهذا محل العجب من سيرته . فقد ابتكر لأهل الاندلس ألوانا من الطعام استطابوها ونسبوا بعضها اليه ، وعلمهم أن يشربوا من آنية الزجاج الرقيق بدلا من آنية المعدن ، وهو أول من اجتنى لهم البقلة الشهية المعروفة بالهليون وكانوا لا يعرفونها من قبل ، وعلمهم أن يبسطوا فوق ملاحف الكتان أنطاع الأديم اللين ، وان يبسطوا سفر الأديم فوق الموائد الخشبية فذلك أنظف لها وآنق لمنظرها . وعلمهم أن يلائموا بين ما يلبسون وبين فصول السنة الأربعة ، فيتدرجوا من الخفيف الأبيض صيفاً الى الثقيل الملون شتاء . ولفتهم الى أنواع من الطيب والعطر لم يلبثوا أن أقبلوا عليها وفضلوها على ما كانوا يتعطرون به من قبل ، كما علمهم كيف ينظمون شعورهم تصفيفا وتدويرا وأرسالا .

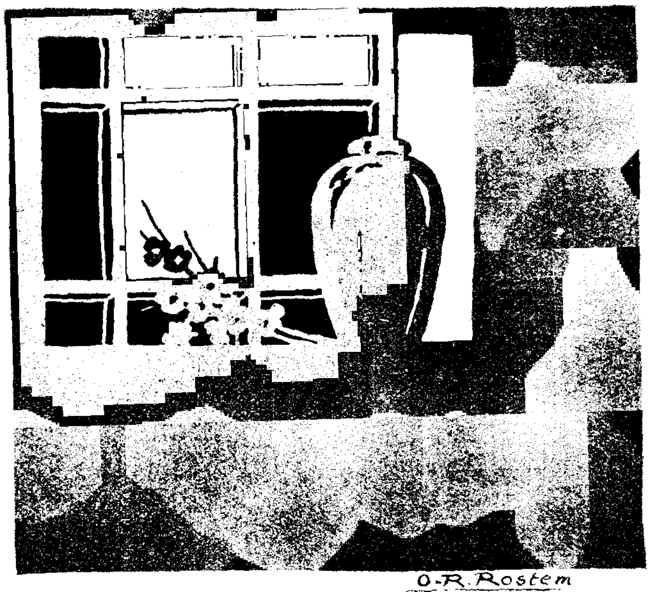
* * *

لا ندرى بالدقة متى توفى زرياب والغالب ان وفاته كانت فى أمارة الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨ - ٢٧٣ ﻫ) وكما رزق زرياب الحظوة عند اهل الأندلس فى حياته فقد رزقتها ذكراه عندهم بعد مماته . ذلك بأن مذهبه فى الغناء ومارسمه لهم من أسلوب المعيشة ظل باقيا متوارثا فيهم حتى آخر أيامهم. فلما انتهى امر الاندلس وخرج من تبقى من أهلها إلى بلدان افريقية الشمالية انتقل اليها بانتقالهم مقدار غير قليل من صناعة زرياب وآدابه . يقول ابن خلدون عند ذكره زريابا « فأورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى ازمان الطوائف وطما منها بأشبيلية بحر زاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدوة بافريقية والمغرب وانقسم على أمصارها وبها الآن منها صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها » ويقول المقرى « وكان زرياب قد جمع الى خصاله هذه الاشتراك فى كثير من ضروب الظرف وفنون الآداب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يجده أحد من أهل صناعته حتى اتخذه ملوك اهل الأندلس وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه واستحسنه من أطعمته فصار الى آخر أيام أهل الأندلس منسوبا اليه معلوما به »

* * *

كان أهل رومية القديمة على عهد نيرون يلقبون سريا من سراتهم اسمه بطرونيوس برب الظرف وسلامة الذوق لأنه كان عندهم مضرب المثل فى ذلك . أما أهل الأندلس فقد وصفوا زريابا بأنه « معلم الناس المروءة » وهو لاشك أجمل وصف يوصف به وأحقه بأن يحفظه عليه التاريخ ويذكره به ؟

عبد الحميد العبادى



O-R. Rostem

الزهرية العاطلة

للأستاذ راشد رستم

لا أجد هنا من يضع لى الزهر فى غرفتى ، وأنا الذى أحب الزهر قريباً منى ، أضمه الى صدرى حنيناً ، وأشمه لتسمو به روحى بعيداً ، أحب العطر منه ، وأحب العطف عليه .

ليس غيرى اذن يضع الزهر لى فى غرفتى ، بل أختاره بنفسى وأرعاه وحدى

واليوم اشتريت من الزهّارة الفتية الناضرة ، باقة من ذلك الزهر الذى تحبه . . . . . « روحى »

لم تدر فتاة الزهر الجميلة لماذا سألتها السماح لى اليوم أن أنتقى بيدى أنا تلك الزهرات الحبيبة التى سأجعل منها وحدها دون غيرها ، حديقتى فى هذا اليوم .

سكتت فتاتى الحسناء راضية ، وتنحّت هادئة ، ونظرت الىّ فى سرور وابتسام وعجب ! . ولِمَ تعجب ؟ ومن عاشر الزهر لا يغضب .

* * *

لم ترنى الفتاة قبل اليوم ألمس أزهارها بيدى ، انما أشير اليها بالطرف وهو كليل فتفهم منى قصدى ، وتجمع لى زهراتى المختارة ، تنتقيها من بين اخواتها برشاقة فى حنو وعطف

تبتسم الفتاة بسمات اللطف والرقة ، وكأنى بها تعلم سرى عن الزهرات وهى تجمعها فتحدثها به جهراً تقول : ما أحلاك أيتها الوردة الحمراء ، المملوءة عطراً وعطفاً وشوقاً وحرارة ! . وأنت أيتهـا الزهرة الفاتنة مثال الرشاقة والخفة والحلاوة ! . . وأنت ياحبيبة الفؤاد ! تعـالى تعالى يا زهرة الحب والاخـ ص والحنان ! . أما أنت فيا للفتوة و ياللحياة ! . وما أسعد الفتى بالفتاة ! وأنت ياربة الدلال والكمال . تقدمى ! تقدمى! خذى مكانك هنا بين زميلاتك الرشيقات ! .

* * *

هكذا كانت الزهارة تناجى وتنادى وتداعب هـــذه الزهرات النواعم، وهى تجمعها من هنا وهناك وتنسقها ثم تلفها فى حرزها لتحميها ، ثم تلتفت فى رقة الفاتنات المـائلات وتقول : تفضل ياحبيب الزهر فخذ زهراتك المحبوبات ، وبودى لو اطلعت عليك معها ، أو لو علمت سرها معك !! . ثم تعود مسرعة الى زهرها

* * *

نعم أتيت اليوم بذلك الزهر الذى تحبه . . . « روحى » ، وهى لا تعلم أننى جئت به !

ليس له اليوم شريك من زهرات أخَر

هذا الزهر الذى تحبه « . . . » أشمه يوماً فى كل عام ، فيحيينى طول العام !

* * *

وبعد . . فليس له عندى هنا زهرية تصونه وتماشيه ، ولا بد له من زهرية خاصة ترضيه وتحميه وتحييه

ولـكن هل أخشى هذه الزهرية ألا تحمل الىّ هذا الزهر يوماً ما ؟ .

أم هل أخشى هذا الزهر ألا يكون فى هذه الزهرية يوماً ما ؟.

أم أخشى يوماً تحمل الى فيه هذه الزهرية زهراً غيره ؟.

نعم . قد يأتى هـذا اليوم الذى أخشاه ، وقد أرى بعيداً عنى هذا الزهر الذى تحبه « . . . » والذى أحب أنا أن أرعاه

* * *

ولـكنى لا أخشى أن تكون الزهرية يوماً عاطلة !

أم تحمى لى هذا الزهر يوماً من الأيام ؟

وهل هذا اليوم ينسى مع الأيام ؟

انى لأرجو أن تبقى الزهرية بعد اليوم عاطلة على الدوام ،

فهى عاطلةً أحب الى منها حاليةً بعد هـذا اليوم الذى أخشاه

ستظل كنفسى التى تحمل دوماً ذكريات كنّ فى يوم من الأيام . . . . حقيقة موجودة . وواقعة مشهودة . . .

المعادى — راشد رستم

جلال الدين منكبرتى *

للدكتور عبد الوهاب عزام

سارت جيوش التتار تقذف بالموت والدمار . «وفتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدَب ينسلون » . خرّت المدائن لصولتهم فأسروا وقتّلوا ، ثم سلّطوا الماء والنار ، فأخربو ودمّروا . وانطلقوا فى جحافل من السيوف والسهام والنار والدخان ، والدماء والماء ، والهول والفزع .

وعلاء الدين ملك خوارزم . قد أوقد النار فلم يستطع اطفاءها ، وفتح باب الشر فلم يقدر على إغلاقه . لم يفن جنده، ولم تثبت عزيمته . فما زال يهجر المدينة بعد المدينة حتى اعتصم بجزيرة فى بحر الخزَر فهلك بها

ورث جلال الدين ملك أبيـه . وإنما ورث الضراب والطعان ، وعرشا فى أشداق المنون ، تخاض اليه الاهوال ، وتقطّع دونه الآمال . لقد ذهب الملك وعلاء الدين معا . وورث جلال الدين دَين أبيه من الـكفاح والنضال ، ورث القتال الحاضر ، والملك الغابر

هلمّ جلال الدين ! : أدفع عن رعيتك مالا يُدفع ، واختر لنفسك وليس فى الشر خيار :

هما خطتا إما إسار وذلة وإما دم ، والقتل بالحر أجدر

(*) جلال الدين خوارزم شاه ابن محمد علاء الدين السابع من ملوك الدولة الخوارزمية . تولى الملك بعد أبيه سنة ٦١٧ وقتل سنة ٦٢٨ هـ

تحفز البطل تحفز الاسد ، وتقهقر ليثب ، ولكن المغول كانوا فى إثره حيثما سار ، يطوون وراءه الليل والنهار ، حتى خرج من ملكه وقارب الهند. وهنالك صف جلال جنده وهم :

عصابة ليس لهم ديار إلا ظهور الخيل والغبار

فهزم عدوه الجبار فى ست معارك

يلقى المنية فى أمثال عدتها كالسيل يقذف جلموداً بجلمودا

ولكن طوفان المغول أعظم من أن تثبت فيه صم الجلاميد أو يغنى فيه العزم المرير والبأس الشديد.

فذلكم جلال الدين على نهر السند وأولئكم المغول على نهر السند. يكر عليهم كالأسد المحرج ويصدقهم القتال من الفجر الى الظهيرة، يموت فى يمينه الحسام بعد الحسام، وينفق تحت عزائمه الجواد بعد الجواد. فلما سدت على العزائم سبل النصر، وضاقت بالمجال حيل الابطال، حمل على عدوه فحطمه، ثم انثنى الى النهر فاقتحمه ، والموت خزيان ينظر. تلك لجة النهر تموج بجلال الدين وجنده ، وفوقهم من سهام المغول وابل منهمر . وفى الهمم القعساء تستوى الغبراء والدأماء. أعجب الأعداء بهؤلاء الابطال فوقفوا معجبين ينظرون.

غرق معظم الجند وخرج البطل ببقايا القتل والغرق ليلقى بهم عدواً آخر. فهذا « جودى » أحد أمراء الهند يغير على البطل المرزأ لينفيه من أرضه . وهذا جلال الدين على العلات يصمد للمغير فيهزمه، ثم جاءه مدد من جنوده فتقدم فى أرض الهند وأقام بها حيث شاء على رغم « قراجه » أمير السند وايلتتمش أمير دهلى اذ تحالفا وحالفا عليه الدهر.

وما جهد هذا الدهر الا هزيمة

اذا نازلت عزم الكرام كتائبه

* * *

أتحسب جلال الدين بلغ من الجهد غايته، ومن الجلد نهايته، وقد أعذر إلى المجد والملك والرعية؟ أتحسبه قد فقد ملكه جميعه ، وهزم فى أرض غريبة فهو حرى أن يطلب فى فجاج الأرض مفراً أو يلتمس فى زواياها مستقرا؟ كلا! انه فقد ملكه ولم يفقد رجاءه ، ولا عزمه ، ولا إباءه . إن له ملكاً وإن يكن فى يد العدو الجبار وإن له عرشاً وإن يكن فى ذمة الزمان الغدار . إن أمامه فى عراك الخطوب ثمانى حجج تطير فيها بين المشرق والمغرب همته . وتنقله من حرب إلى حرب صرامته . ويسلمه من مصيبة إلى مصيبة حظه.

يشق بين الأهوال طريقه إلى كرمان ففارس فأصفهان فالرى. ثم يصمد للخليفة العباسى الناصر فيهزم جنده ويقتل قائده ويسوق المنهزمين إلى أسوار بغداد.

ثم يستولى على تبريز ويتخذها دار ملكه ، ويغير على الكرج كأن أعداءه ليسوا أكفاء نضاله . وبينما هو فى تفليس جاءه نبأ هائل . وناهيك بخيانة الأعوان فى حومة الطعان : أنبىء أن براقا الحاجب والى كرمان قدمالأ المغول . فبادر من تفليس إلى كرمان ليعاقبه بخيانته . ثم يرتد من كرمان إلى الشمال ليحارب التركمان والملاحدة فيهزمهم ويجزيهم بما اقترفوا فى غيبته . ويشرق تلقاء دامغان ليهزم جيشاً من المغول . ويرجع إلى الغرب حين يعلم أن الكرج تألبوا عليه . فيلتقى الجمعان وتأبى على جلال الدين شجاعته ومضاؤه إلا أن يبارز أبطال الكرج . وقد قتل أربعة من صناديدهم ولاء ثم حمل على الكرج فهزمهم أجمعين .

هذه سنه سبع وعشرين وستمائة وجلال الدين يعمل ليؤلف أمراء المسلمين ويضرب بهم هذا العدو المدمر فلا يمهله عدوه فيباغته ثلاثون ألفا من المغول فينهزم أمامهم ولكن ليستولى على مدينة كنجه .

عشر سنين نازل فيها جلال الدين منكبرتى أحداث الزمان مجتمعة وغلب فيها جهد الأعداء وخيانة الأصدقاء ، وجالدعدو المسلمين وخليفة المسلمين . وحارب المغول والتركمان والملاحدة والكرج .

أرأيت جلال الدين نجما يدور به فلك من الخطوب بين المشرق والمغرب؟ أعلمت أن الرجل العظيم يخلق أحداث التاريخ ولا ينقاد لها . إن يكن مايروى عن جلال الدين مستحيلا فكم بين حقائق التاريخ من مستحيلات

غياث الدين أخو جلال الدين يمالىء الأعداء أيضاً فانظر الى البطل العظيم عام ٦٢٨ وقد اجتمع عليه الأعداء وخانه الاخوة والاصدقاء وناء بقلبه خذلان أعوانه لا بطش اقرانه . ها هو ذا مكتئباً حزيناً مشرداً يسير فى قرى الكرد .

مجمع البحور

الى الدكتور محمد عوض محمد

قرأت مقالكم الممتع ، تحت عنون (مجمع البحور وملتقى الأوزان) فوجدت فيه من الطرافة ما يدل على التفوق فى الذوق ، غير أنى أخذت عليكم فيه مأخذين أدلى بهما اليكم وإلى قراء مجلة (الرسالة) الكرام .

(١) قد ذهبتم الى أن الشعر المرسل قريب العهد فى الحدوث . وهذا غير الواقع فقد أنشد أبو عبيدة لابنة أبى مُسافع وقد قتل أبوها يوم بدر :

فما ليثُ غريفٍ ذو أظافير وأقدام
كحيّ إذ تلاقوا وَ وجوه القوم أقرانُ
وأنت الطاعنُ النجلا ء منها مزبدٌ آنِ
وبالكف حسامٌ صا رم أبيض خذامُ
وقد ترحل بالركبِ وما نحن بصحبانِ

وتجدون هذه الأبيات فى (الموشح) للمرزُبانى ، (ص٢٠) ومن يدرى ؟ فلعل هناك كثيراً من قصائد الشعر المرسل ذهبت بها أيدى الضياع . والمعروف أن الأستاذ الزهاوى هو الشاعر الوحيد فى المحدثين الذى رفع لواء الشعر المرسل ، ولا أعلم العلة التى حدت بكم الى إغفال ذكره فى الموضوع ، وهو معيد الفكرة الى نشأتها الأولى .

(٢) أنكم عبتم على أمير الشعراء عدم التزامه وزناً واحداً فى رواياته ؛ وأنا أقول : لو أن شوقى رحمه الله أجهد نفسه ، وتكلف الكثير حتى جاء برواياته ، من بحر واحد وقافية واحدة لقال الناس ولقلت أنت أيضاً : إن شوقى قد وضع فى عنق الشعر طوقاً يغله به فى عصر الحرية والانطلاق ، وانه مقلد وقديم فى عهد التمرد والابتكار . ولكننا اذا صرفنا النظر عن كل هذه الاعتبارات ونظرنا إلى الموضوع من حيث أن تلك الروايات انما وضعت للتمثيل خاصة، تجلى لنا الموقف الذى ظهر فيه شوقى وهو يقدم لأدب الضاد مادة طريفة دلل بها على أن لغة القرآن لا تضيق بكل ضرب من ضروب التفكير ، وكل فن من فنون الأداء وان فى الشعر مايصلح أداة للتمثيل .

أنا لا أختلف وإياكم فيما يحدثه نظم القطعة الواحدة من بحور متعددة من الشعور بنفرة الانتقال المباشر فى الموضوع الواحد . ولكن هذه المفارقة النافرة فى الذوق لا يبقى لها أثر متى لاحظنا أن الشعر خاص بالتمثيل وانه نظم ليلقى على المسرح بغير لسان واحد . فانتقال الالقاء من هذا إلى ذاك مما تضيع به فائدة المحافظة على البحر والقافية فى قاعة التمثيل فضلا عما يحدثه التمثيل ذاته فى أنفس السامعين من الاتجاه الى الحادثة وتسلسل المواقف دون الالتفات الى أن هذا يسأل من بحر الخفيف وذاك يرسل الجواب من بحر الطويل. وقد حضرت روايات شوقى التى مثلتها الفرق المصرية فى العراق فلم أجد فى نفسى أثراً لاختلاف البحور والقوافى ولم أسمع من غيرى شيئا من هذا . ويظهر أن فكرتكم قد تولدت من القراءة المجردة دون أن تقترن بالروح التى تبعثها مشاهدة التمثيل . وما كان شوقى بعاجز عن أن يوحد البحور والقوافى فى رواياته بشىء من الجهد وهو أمير الشعراء ، ولو كان

ولعله كان يحاول أن يخلق من عزمه جنداً وحرباً وانتصاراً وملكا . ولكن رجلا من الكرد باغته ففتك به :

أتته المنايا فى طريق خفية على كل سمع حوله وعيان
ولو سلكت طرق السلاح لردها
بطول يمين واتساع جنان

ولكن النفس العظيمة التى ملأت العدو والصديق هيبة واعجاباً لا تموت بموت الجسد ، فقد أكبر الناس أن يموت البطل الذى غلب الموت فى كل معترك . فبقوا أكثر من عشرين عاماً يتحدثون أن بطلهم حى وأنه ظهر فى هذا المكان أو ذاك . بل حاول بعض الناس ان يلبسوا عظمته ويحملوا اسمه فناءوا بالعبء فأخذهم المغول بغير عناء

ياشباب الشرق ! قلبوا صفحات مجدكم فان أعظم المصائب أن تمحى ذكرى الآباء من صدور الابناء. وان لكم فى جلال الدين لعبرة .

عبد الوهاب عزام

قد تكلف اجتياز هذه العقبة الكأداء لما وفق فى الموضوع الى المدى الذى انتهى اليه من البراعة فى حبكة الرواية والاتيان بأرفع الخواطر سمى ذلك لأن الشعر ذاته فى حاجة (بالتمثيل) الى كل هذه التوسعة والاطغت الألفاظ على المعانى وجاءت المواقف فى شىء كثير من البرود والجفاف مهما بلغ الشاعر حظا عظيما من فيض العبقرية . ويظهر أن الأبيات التى استشهدتم بها من رواية قمبيز ليست ثلاثة ومصرعا (بفتح الراء) وانما هى أربعة أبيات باعتبار قوله :

بخٍ بخٍ بنتَ أخى

بيتاً واحداً مصرعاً (بتشديد الراء) كما يدل عليه التشكيل فى الرواية وعلى حد قوله فى (قمبيز) أيضاً :

النوبُ جيلْ . حرٌ أصيلْ يقضى الديونْ
نحن الأسود حمر الجلودْ حمر العيونْ
لنا لبدْ من الزردْ هى الحصونْ

الى آخر القطعة (ص ٩٨) وهناك كثير من أمثال ذلك وهو بحر جديد يستسيغه الذوق طبعاً . وبذلك يرتفع مايؤخذ على شوقى من استساغته اختلاف البحر فى البيت الواحد ، وذلك مالا يصح صدوره من شاعر ، لأن البيت فى الشعر وحدة مستقلة الذات فى القصيدة ، وهذا الاستقلال يفرض معه اتحاد البحر فى البيت الواحد .

وبعد فانى أرجو لا يكون هذا الدفاع مبرراً لما جريت عليه فى تأليف روايتى الشعرية (رسول السلام[1]) من عدم التقيد ببحر واحد وقافية ثابتة والاكتفاء بموسيقية الوزن فحسب ، انما أرجو فيه اصلاحا لما علق فى بعض الأذهان من أن روايات شوقى فقدت أكثر جمالها بفقدها اتحاد الوزن والقافية . ويكفى الشعر التمثيلى أن يحتفظ بنغمة الوزن وحدها مادام المسرح لم يخصص لقائل واحد وانما هى مشاهد عدة وممثلون كثيرون قد يكون هذا التنويع فى البحور والقوافى ،ملائماً لابراز ملامح الجمال التى تنسجم مع الموقف ومن فيه .

بغداد — حسين الظريفى

(١) نشرت بعض مواقفها بمجلة ، الصباح ، الغرا. بأعدادها الاخيرة .

مشروع تعاون الشباب

صيحة من قلب الشباب لانقاذ الشباب

للأستاذ حافظ محمود

فى الوقت الذى يزاحم القنوط آمال الشباب فى ساحة العمل والنشاط قد ارتفع صوت ينادى الشبان الى الخلاص مما أحاق بحياتهم العملية من ضغط وأرهاق ، يقول لهم أن فى يد الشباب معجزة الثروة الطائلة اذا هم أدخروا من أموالهم المتواضعة بضعة قروش تحتسب لهم أساساً للمساهمة فى انشاء شركات مصرية صناعية تزيد فى كسبهم ناحية لن تزيدها الايام الا سعة وتجديدا .

ذلك هو مشروع تعاون الشباب الذى يتقدم الى شباب الامة المصرية بهذه الفكرة الناضجة ، يفصل لهم رءوس الأموال تفصيلا ، يستطيع كل فتى وكل فتاة الى الاشتراك فيه سبيلا . فخمسة قروش ما أهون توفيرها فى كل شهر مرة واحدة لمن اراد ، وأكثر من مرة واحدة للقادرين !

فحسبنا من المصريين واحد فى المئة من تعدادهم يؤمنون بتنفيذ هذه الفكرة . إن واحداً فى المئة من خمسة عشر مليونا مصريا اذا أدخروا خمسة قروش لكل منهم شهرياً اجتمع لنا فى عام واحد تسعون الفا من الجنيهات . وهو مبلغ يحسب فى تاريخنا الاقتصادى الناشىء بالشىء الكثير . فأنت حين تراجع تاريخ انشاء بنك مصر وتعلم انه قام أول ما قام على ثمانين الفا فقط لابد واجد من نفسك بعد هذا احساسا طيبا نحو هذه التسعين الفا من الجنيهات التى يستطيع شبان المدن المصرية وحدهم أن يدخروها فى سنة واحدة من بقايا نفقاتهم النثرية فى غير عنت ولا أرهاق .

أن الحركة الاقتصادية هى ميزة العصر الحاضر على كل العصور ، ومن الأمثلة التى تساق فى هذا البحث أن مصر تستورد سنويا من الخارج بما يقرب من المليون جنيه غرائر (زكائب) خشنة ساذجة ، مع مصلحة التجارة والصناعة بعد درسها الصناعة الغرائر علميا قد تبينت اننا نستطيع أن ننشىء بتسعين الفا من الجنيهات أو يزيد قليلا هذا المصنع العظيم الذى يغنينا عن بذل مليون أو ملايين بضرورة التكرار سنويا للمصانع الخارجية .

هذا كله انما يقوم دليلا قويا على صلاح الدعوة التى يدعوها « مشروع تعاون الشباب » لفتح آفاق جديدة يرتادها شبان

مصرفى حياة الاعمال الحرة ، ويزيدفخرهم فيها أنهم هم المنشئون ، وهم العاملون. وهم الذين يفيدون ويستفيدون .

ذلك أن القائمين بدراسة هذا المشروع وتنفيذه فكروا أول ما فكروا ألا تكون قروش الشباب هبة أو عطاء ، فليس العطاء من تاريخ الاقتصاد فى شىء ، انما جعلت هذه القروش الخمسة التى يكرر الشباب المصري ادخارها لمشروع تعاون الشباب وسيلة ميسورة تنتهى بالجميع الى أن يصبحوا مساهمين فى الشركات التى ينشئونها باموالهم . فيكونون قد انشأوا للصناعة فى مصر منشآت جديدة من ناحية ، وفتحوا لأنفسهم طريقا الى الربح من ناحية ثانية . وزادوا على هذا وهذا أنهم يبذرون بما يعملون بذور النزعة الاقتصادية المنتجة فى أرض البلاد .

فانت ترى أن الفكرة فى هذا المشروع لم تكن وليدة رأى عارض أو تقليد أصم . انما هى فكرة ولدتها حاجة الحياة المصرية الى كثير من المنافذ التى تنفذ منها جهود الشباب الى ما يهيء لهذه الشبيبة المصرية مستقبلا أكثر رخاء ورغداً ، وأنت ترى فى تضاعيف هذه الفكرة نزوعا الى تحقيق الديمقراطية الاقتصادية اذ تفتح وسائل المشروع أبواب المساهمة فى تأسيس الشركات والمصانع أمام أصحاب خمسات القروش كما تفتحها أمام أصحاب الآلاف أو الملايين ، وهى نزعة علمية صالحة جديرة بالتقدير والاعتبار .

كان هذا المشروع فكرة ، ثم انقلبت الفكرة صوتا ينادى شباب مصر الى العمل فى سبيل مستقبلهم ومستقبل بلادهم . والواقع أن فى مصر مشكلة يصح أن تسمى مشكلة الشباب ، وأن هذا المشروع حل من أوفق الحلول لهذه المشكلة الضخمة فأولئك الالوف الذين تخرجهم المدارس كل سنة الى أين يذهبون بما تسلحوا من علوم وفنون ؟ لقد ضاقت سبل الرزق عن أن تسد حاجاتهم ، وعز على أوليائهم والاغنياء من أهلهم أن يضحوا فى سبيلهم ، وحقت عليهم التجربة القاسية التى سيخرجون منها أما ظافرين بمعنى سام من معانى الرجولة التى تعرف قيمة الاعتماد على نفسها ، وأما حاملين أثقال الخيبة التى لا رجولة فيها

لم يبق أمام الشبيبة المصرية الا أن تعنى بمستقبلها : تدبر له الامر وتنفذ ما فيه بناؤه ، بناء يقوم على أسس مادية ثابتة لا تتعرض لها أيدى الاخرين . ولعل مشروع تعاون الشبان هذا هو الترجمة الحرفية لهذا كله ، فهو محاولة مرضية فى خلق شىء لمستقبل الشباب بجهود الشباب وماله من قليل المال وكثير النشاط . وربما كان حتما لزاما على اخواننا الشبان أن يوجهوا جهودهم فى تنفيذ هذا المشروع على الوجه الذى يحقق آمالهم أملا فأملا ليثبت لهم فى سجل الايام أنهم عرفوا واجبهم فأدوه ، وآمنوا بحقهم فسعوا اليه .

أما وسائل التنفيذ لهذا المشروع فقد أحسن أو يحسن القائمون به تنظيمها ، فلكل خمسة قروش تودع لحساب المشروع « كوبون » مرقوم بالرقم المسلسل ، مختوم بالخاتم المسجل ، بمضى امضاء رسمية . وهذه الكوبونات التى يتقاضاها المساهمون فى هذا المشروع تودع قيمتها أو أثمانها لحساب المشروع فى بنك مصر ايداعا ليس فيه صرف ولا حل الا يوم تنعقد الجمعية العمومية للجان المشروع بعد ستة أشهر ، فتحصى المجموع عدداً وتقرر ما ينشأ به من صناعة ومن يقوم على الانشاء من الاعضاء الاخصائيين البارزين . يومئذ تأذن الجمعية لثلاثة من الرؤساء أن ينفقوا على عملية التأسيس بحساب معلوم تحت رقابة مسؤولة

هذه وسيلة من وسائل النجاح للمشروع يزيد عليها أن القائمين بعملية التوزيع فى ذاتها ليسوا فتية غير مسؤولين ، انما هم أعضاء لجان فى وزارات الحكومة ومصالحها ومدارسها يشرف عليها رؤساء من أكبر الرؤساء . وهم يشتركون فى المسؤلية عن كل ما يوزعون حفظاً وضماناً لما يجمعون .

أما المال الذى يجمع فهو مضمون فى خزائن بنك مصر ، واما ملكيته فهى لاصحاب خمسات القروش أنفسهم تعود عليهم ارباحه يوم تنشأ الشركة ويكونون فيها مساهمين ، وأما نوع الصناعة التى تؤسس بمال المشروع هذا فمتروك أمرها لقيمة رأس المال الذى يمكن جمعه وتوفيره لهذه الغايات كلها التى يسعى اليها المشروع من انشاء صناعات وطنية الى فتح أبواب جديدة للرزق . فلجنة المشروع تضع نصب أعينها اذن غرضين : صناعة لا مزاحمة فيها للمواطنين ، ومصانع يتطلب العمل فيها أكبر عدد ممكن من أيدى الشباب المواطنين .

أن كل غرض من هذين الغرضين اللذين يسعى اليهما مشروع تعاون الشباب جدير بعطف الامة وتقديرها ، واذا كان قلب الامة موزعا فى قلوب الشباب فما احرى هذه القلوب أن تنصت الى نداء «تعاون الشباب» ثم تجاوبه بالاقبال والبذل والعمل فى سبيل الحرية التى تلمس بالايدى ويحس بها الافراد جميعاً . .



القصــــة المصرية

الأستاذ جيب

أستاذ الأدب العربى فى مدرسة اللغات الشرقية بجامعة لندن

– ٢ –

أول قصة مصرية بالمعنى الحقيقى خرجت إلى الوجود، وهى غفلاء من اسم مؤلفها، فلم تلق أول الأمر الا اهتماما قليلا من جانب المتعلمين، تلك القصة هى «زينب» مناظر وأخلاق ريفية، بقلم مصرى فلاح — القاهرة مطبعة الجريدة عام ١٩١٤. ومؤلفها هو الدكتور محمد حسين هيكل، ولما كان غداة نشرها محاميا صغير السن طموحا لم يشأ أن يذكر اسمه مخافة أن يقف ذلك عقبة فى سبيل عمله.

خرجت «زينب» خروجا تاما، فى لغتها وأسلوبها وموضوعها وفى الطريقة التى عالجها بها المؤلف عن جميع ما تقدمها من الآثار فى الأدب العربى. وليس هناك علاقة ما بينها وبين قصص زيدان التاريخية، ولا قصص فرح أنطون الفلسفية. فلقد كتبت كما يتضح من عنوانها لتصوير الحياة الاجتماعية فى الريف بسلسلة من الحوادث تدور حول حياة فتاة قروية.

ونستطيع أن نسرد الحكاية فى إيجاز، فنقول — ان زينب وهى فتاة قروية جميلة، قوية الاحساس، بعد علاقة بريئة بشاب متعلم يدعى حامد ابن صاحب الأرض فى القرية — قد أحبت فتى يقال له ابراهيم. ولكنها تزوجت على رغم أنفها وبمشيئة والديها من صاحبه حسن. فحرصت على وفائها وولائها له، ولكنها ظلت على حبها لابراهيم، ولقد أدى التنازع بين هاتين العاطفتين، عاطفة الحب وعاطفة الاخلاص الزوجى إلى تأثير سىء فى صحتها، ولما علمت بدخول ابراهيم فى الجيش بلغ ذلك من نفسها مبلغاً عظيما حتى أضناها الحزن ثم أودى بحياتها، وبجانب هذه الخطة تقوم حكاية أخرى. وهى تلك العلاقة بين حامد وابنة عمه، وهى فتاة من فتيات المدن، ثم اختفاؤه عندما أخفق مسعاه فى التزوج منها.

ويتضح من ذلك أن الخطة على العموم أقل من أن تكفى لملء أربعمائة صفحة، وبالقصة من جهة أخرى عيوب سنعرض لها الآن. وينبغى أن نتذكر أن تلك القصة ليست أول مجهود لشاب صغير السن فحسب. بل هى كذلك أول مجهود من نوعه فى أدب فنى، فيجب أن ينظر اليها مع هـــذا الاعتبار. والواقع أن ما فى القصة من تفاصيل تستوجب النقد، يقل شأنه، إذا قارناه بتلك الحقيقة وهى أن هناك مجهودا بذل، وأن تلك القصة تعتبر شيئاً جديداً من نوعه أضيف الى الأدب العربى.

ويعد بناء هذه القصة ممتعا من الناحيتين الوصفية «والسيكلوجية» وواضح أن القصة، انما قصد بها انتقاد تلك الروح الرجعية التى ما زالت تسيطر على طبقة خاصة من الناس على الرغم من التقدم الحديث، على أن نجاحها فى هـــذا السبيل لم يكن تاما، إذ أن الشخصيات نفسها لم تركب بدرجة كافية، اللهم إلا شخصية حامد، وهى بلا شك تمثل الى حد كبير شخصية المؤلف نفسه. كذلك نلاحظ أن تصوير الأشخاص والحوادث بطريقة «درامية» جاء ضعيفا فى الجملة.

وكانت النتيجة أن تعليقات المؤلف «السيكلوجية» كانت تأتى على لسانه هو بطريقة أقرب الى طريقة الكتب المدرسية مع استعمال ضمير المتكلمين الجمع. ويظهر تدخل المؤلف بشكل أوضح فى مواضع الوصف. ولقد ذكر هيكل بك فى مقدمة الطبعة الثانية الظروف التى وضع فيها كتابه، وذلك حين كان يطلب العلم فى باريس وجدبه الحنين الى وطنه، فجعل يتمثل فى ذهنه جميع مظاهر الحياة القروية، ومجالى الطبيعة فى مصر، ويظهر أثر ذلك فى كل صفحة من صفحات الكتاب تقريبا، فى قطع وصفية مسهبة للمناظر الطبيعية، كالشمس والقمر والنجوم والمحاصيل والجداول والبرك... الخ، ولقد يرتفع أسلوبه فى ذلك الى درجة عظيمة من الفخامة والروعة الموسيقية، ولكن طول الوصف

مما يسبب السآمة وتشتيت الذهن . ففى كل حادثة وفى كل منظر وصف وتعليق ، مما جعل القصة فى بعض المواضع تسير متعثرة . أضف الى هذا أن الكاتب كان يعمد أحيانا الى قصص استطرادية تافهة ، لاتمت بصلة قوية الى القصة الأصلية ، لا لغرض سوى أن يستطيع بواسطتها أن يضيف بعض الفقرات الوصفية ، ثم بين الفينة والفينة تظهر بعض جمل مثقلة بالوصف الى درجة تفقد معها مبناها ومادتها .

ولكن يجب ألا ننسى أن هذه الفقرات الوصفية تحمل من المعانى الى ذهن القارىء المصرى أكثر مما تحمل الى غيره ، وان تأثيرها الفنى فى نفسه ، يعد أحد الأسباب الرئيسية التى قامت عليها شهرة هذه القصة عند المصريين .

أما ما حوته من المباحث الاجتماعية ، فكان أكثر تمشيا مع الخطة ، اذ كان من المحتم أن يتلمس المؤلف أسباب المساوىء التى ذكرها وأسباب المأساة النهائية ، وأن يرجع ذلك الى أصله فى العادات الاجتماعية . ويغلب على القصة من أولها الى آخرها التعرض لنقد المساوىء التى أنتجها التمسك بالعادات البالية ، ولكن النقد الاجتماعى لم يحشر بالطريقة التى حشرت بها الفقرات الوصفية « والسيكلوجية » ويرجع ذلك الى أن المؤلف قد أجراه على لسان حامد ، وهو شاب متعلم متأثر بأفكار قاسم أمين وغيره من المصلحين الاجتماعيين ، على أن المؤلف كان يلجأ هنا أيضا فى بعض الأحيان الى اصطلاحات الكتب المدرسية .

وكان تنظيم الأسرة وتحرير المرأة هما المحور الذى تدور عليه انتقادات المؤلف الاجتماعية ، أضف الى ذلك بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى مصر ، كبعض الحرف البعيدة كل البعد عن حقائق الحياة ، مثل حرفة طبيب القرية (الحكيم البلدى) ومشايخ الطرق الذين يتجرون بتضليل العامة وغير ذلك .

أما شعور المؤلف القومى ، فكان مضمراً أكثر منه صريحا وان كان قد أظهره فى بعض المواضيع ، وبخاصة عند اشارته الى حقارة الخدمة العسكرية ، تحت سيطرة الأجنبى .

أما أسلوب القصة فقد سار الكاتب فيه على الأسلوب الأدبى الحديث مع تهذيبه فى أغلب الأحيان فى اللفظ والتركيب ، ويلاحظ فيه من جهة أثر الاصطلاحات العامية الخاصة بدلتا مصر . ويتضح ذلك فى اقتضاب بعض الجمل ، وفى طريقة الانتقال وغيرها ، كما يلاحظ فيه من جهة أخرى أثر الفرنسية ، ويظهر ذلك فى طول الجمل والتوائها مع كثرة الجمل الفرعية والمعترضة التى تدخل على الجملة الرئيسية ، مثال ذلك الجملة التى تبتدىء بالفقرة الآتية «ومن الظلام روافه» صفحة ٣٧ من الطبعة الأولى و ٣٤ فى الطبعة الثانية وكذلك الجملة التى تبتدىء بقوله : ولم تكن الا لحظات ... ص ٨٩ فى الطبعة الأولى و ٧٠ فى الثانية .

أما ما يتعلق بتلك المشكلة الصعبة ، مشكلة أسلوب الحوار فقد لجأ هيكل بك فى شجاعة الى استعمال اللغة العامية اذا كان الحوار بين الفلاحين ، اما اذا كان بين الطبقات المتعلمة فيتركهم يتكلمون اللغة الفصحى .

ويتضح مما قدمنا أن عنصر الخيال فى زينب أقل منه فى مثيلاتها من القصص الأوربية المتوسطة ، وأن ما فى القصة من فقرات عقلية ووجدانية — وهى فى الواقع العنصر الشخصى فيها — يسمو على الناحية القصصية . ولقد ذكر الكاتب فى مقدمة الطبعة الثانية أن القصة فضلا عن مظاهرها الخاصة تأثرت أيضا بطريقة القصة الفرنسية السيكلوجية الحديثة ، ولكنا على الرغم من ذلك — الا اذا ثبت تماما أن القصة قد جرت فى تفاصيلها وأسلوبها وخطتها على نمط القصة الفرنسية — نقول أنه يستحيل علينا أن ننكر على زينب أنها أول قصة مصرية كتبت بقلم مصرى للقراء المصريين ، وأن شخصياتها وأوضاعها وخطتها قد اشتقت من الحياة المصرية الحاضرة .

لم تلق هذه القصة الا اهتماما قليلا حينما نشرت فى عام ١٩١٤ ، ولكنها لاقت بعد ذلك نجاحا كبيرا لما اتسعت دائرة القراء . وكان اعادة طبعها فى عام ١٩٢٩ بناء على طلب الجمهور ، وقد أدى الى ذلك عدة عوامل نذكر منها أنها زادت فى احساس الناس بقوميتهم ، وأن مؤلفها قد ارتفع صيته فى عالم الأدب ، وأنها اختيرت موضوعا لأول « فلم سينمائى » أخرج فى مصر .

ومن أجل ذلك أصبحت القصة موضع بحث ، وكتب فى نقدها بعض مقالات كان معظمها مدحا وتقريظا . ومن أحسن ما كتب فى هذا الصدد مقالتان طويلتان للمازنى فى السياسة الأسبوعية بتاريخ ٢٧ ابريل و ٤ مايو من سنة ١٩٢٩ . وحدث أن كتب بعد ذلك كل من هيكل بك ومحمد عبد الله عنان سلسلة مقالات فى السياسة الأسبوعية فى أوائل عام ١٩٣٠ ذات فائدة كبيرة فيما يتعلق بنشأة القصة فى مصر .

يسائل هيكل بك عن أسباب ذلك الضعف وذلك الفقر الغريبين اللذين يمتاز بهما الأدب العربى الحديث فى القصة ، مع أن المصريين يمتازون بمقدرة طبيعية على سرد القصص . ولقد علل ذلك بعدة أسباب منها : فقدان المقدرة على طول الخيال ، والفرق بين لغة الكتابة ولغة التخاطب ، وكسل الكتاب المصريين . ولكن ليس

فى هذه الأسباب مايمكن اعتباره السبب الحقيقى وان بدا فى الثانى منها بعض الوجاهة . ويذكر هيكل بك بعض الأسباب الفرعية الأخرى ومنها (١) نسبة الأمية الهائلة فى مصر ، وهى تحول دون أى تقدير حقيقى من جهة ، وتكون سببا فى قلة العوض المالى من جهة أخرى (٢) عدم التشجيع من جانب الطبقات العالية والطبقات الغنية ، وربما كان السبب فى ذلك أن هؤلاء لم يجدوا تشجيعا من جانب المرأة وبهذه المناسبة يشير المؤلف الى أثر المرأة فى فرنسا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر والى أهمية تشجيع المرأة للحركة الأدبية فى الأدب العربى القديم (٣) الحط من قيمة الأدباء فى مصر والتشهير بهم علنا من منافسيهم وممن هم أقل منهم منزلة (٤) انشغال الناس بالمسائل السياسية والاقتصادية وميل الكتاب الى الاهتمام بالناحية السياسية أكثر من اهتمامهم بالناحية الأدبية .

ويوافق عنان على تلك الأسباب فى الجملة ، غير أنه يقول أن ثانيها هو أكثرها خطرا ، فان الوسيلة الحقيقية الى نمو القصة فى مصر تنحصر فى مركز المرأة الاجتماعى ويشير عنان الى أن الدوّر الذى لعبته المرأة فى ا ناض الشعر العربى القديم لم يكن له علاقة بالقصة ، لأن أساس القصة انما يوضع فى مجتمع تلعب فيه المرأة دورا خطيرا ويكون المجتمع متأثرا بنفوذها خصوصا فى رسم مستوى الخلق والسلوك . وكان من نتيجة فقدان هذا الأثر ضيق مجال الأدب العربى القديم والأدب الأوربى فى العصور الوسطى ونقصهما فى جمال الشعور والعواطف . ولايزال هذا الضيق موجودا فى الأدب العربى الحديث لأن المستوى الاجتماعى لم يزل كما هو لم يتغير . وتعتبر قصة زينب احدى الشواذ التى تنهض دليلا على صحة القاعدة ، فان نجاحها انما يرجع الى تلك الحرية النسبية التى تتمتع بها المرأة فى الحياة الريفيــة . وعلى ذلك فان عنانا لايشارك هيكل بك فى تفاؤله ، ففى نظره أنه لايمكن أن تتقدم القصة المصرية مالم تتحسن تلك الظروف القائمة ، ولا يمكن أن تترجم أو تمثل العواطف والأخلاق السائدة فى الحياة الاجتماعية . ولا ينتظر ان يكون لها مستقبل فى التطور الأدبى الحديث مادامت الحياة الاسلامية محافظة على تقاليدها الموروثة . ومما قاله فى هذا الصدد «استطعنا أن نقطع بأن المجتمع الاسلامى لايمكن — متى بقى تطوره وتقــدمه محصورين فى المبادىء الاسلامية الخالدة أو فى التقاليد التى كانت أثرا لهذه المبادىء — ان يظفر كتاب القصص العربى يوما بمادة واسعة أو غزيرة كالتى يقدمها المجتمع الغربى الى كتاب الغرب أو ان يغدو الأثر الذى يفسحه للمرأة ذات يوم وحيا للفن والجمال » .

ولقد أدت مقالة عنان الى رد من جانب هيكل بك يتعرض فيه الى الناحية « السيكلوجية » للموضوع ، وهى مقالة جديرة بأن تقرأ بمزيد الاهتمام . يقرر الكاتب أن الضعف الحقيقى فى القصة القصيرة والقصة الطويلة فى مصر انما يرجع الى عدم المقدرة على تفهم الحياة والى حاجتنا الى تربية العواطف ، فان العواطف النبيلة لايمكن أن تثمر فى حياة اجتماعيـة يقف فيها الشعور عند نقطة نقوم معها الأغراض الجسدية مقام أى عاطفة سامية من عواطف النفس الانسانية . وان أى فن لايكون فى الأصل قائما على حب الفنان لناحية من نواحى الحياة لا يمكن مطلقا أن يصل الى درجة الكمال ، وتطور غريزة الحب الى عاطفة انسانية سامية يحتاج الى تدريطويل شاق وقد لايكفى لبلوغ ذلك جيل بل عدة أجيال . وحتى فضيلتا الأحسان والعطف يندر وجودهما فى مظهرهما الاجتماعى الراقى فى مصر . ولم يزل الحب أيضا قريبا من الغرائز الأولية ، ومن النادر أن يعثر المرء فى هذه الناحية على مثل من المثل العليا الجميلة . وأخيرا يتلمس الكاتب أسباب نقص التهذيب العاطفى فى انعدام وسائل التربية التى تقصد الى هــذا الغرض فى المنزل، كما يتلمسها فى طرق التعليم القديمة التى تعد أدخل فى باب الحرف منها فى باب الانسانية .

ولم يكن من السهل مرور هذه المناقشات دون أن تثير معارضة من جهات مختلفة وسنوضح أحد هذه الانتقادات الشهيرة عند الكلام على قصة المازنى « ابراهيم الكاتب » ولقد صدرت تلك المعارضة عن صفوف المثقفين . ومما قاله أحدهم فى هذا الصدد... ما هذه المناقشة الطويلة حول القصة ؟ لقد سار الأدب العربى بدونها فى الماضى ولم ينقص ذلك من قدره ، وان التطلع الى إيجاد القصة فيه الآن ليعد مثلا جديدا من أمثلة تقليد الأوربيين تقليدا ضارا ينذر بتقوض دعائم الحياة الاجتماعية فى الشرق . ان القصة الغربية بما فيها من نقص وتزييف وعدم ملاءمة للتقاليد الاجتماعية فى الشرق قد أثرت تأثيرا هداما فى حياة مصر الاجتماعية . أفنسعى بعد ذلك وراء هذا الداء الوبيل ؟

« للبحث بقية »

ابن خـــلدون فی مصر

للأستاذ محمد عبد الله عنان

٣

ثم عين المؤرخ فى وظيفة أخرى هى مشيخة (نظارة) خانقاه بيبرس، وهى يومئذ أعظم الخوانق أو ملاجىء الصوفية[١]؛ فزادت جرايته، واتسعت موارده. ولكن أمد سكينته لم يطل، فقد نشبت فتنة خطيرة أودت بعرش الظاهر برقوق بطلها ومدبرها الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب؛ وكانت نظم البلاط القاهرى وظروفه وما يضطرم به من الدسائس والخيانات مما يسمح بتكرار هذه الفتن؛ وكان يلبغا الناصرى نائب السلطنة من قبل، وزعيم عصبة قوية من الأمراء والفرسان؛ وكان الظاهر برقوق من جملة أمرائه وتابعيه؛ ولكنه استطاع فى فتنة سابقة (رمضان سنة ٧٨٤) أن يظفر بالعرش دونه، وأن يجرده من سلطته ونفوذه، وأن يقصيه الى الشام. ثم سنحت فرصة الخروج ليلبغا، فسار الى القاهرة فى أتباعه وتحول أنصار برقوق عنه، ففر من القلعة، ودخل يلبغا الناصرى القاهرة، وأعاد الصالح حاجى السلطان المخلوع الى العرش، وقبض على برقوق وأرسله سجينا الى الكرك (جمادى الأولى سنة ٧٩١). ولكن ثورة أخرى نشبت بقيادة أمير آخر يدعى منطاش، فقبض على الناصرى، وسار الى دمشق لمحاربة برقوق الذى استطاع أن يفر من سجنه؛ فهزمه برقوق وعاد الى القاهرة ظافراً منصوراً، واسترد عرشه فى صفر سنة ٩٢، لبضعة أشهر فقط من عزله. ويخصص ابن خلدون فى «تعريفه» فصلا لهذه الحوادث[٢]، ويمهد له بشرح فلسفى اجتماعى يتحدث فيه عن نهوض الدول بقوة العصبية واتساع ملكها، ثم طغيان الحضارة والرفاهة عليها، وخروج الأقوياء منها عليها، وبثهم فيها روحاً جديداً من القوة، وتكرر هذه الظاهرة، ثم يطبق نظريته على دول المماليك المصرية منذ صلاح الدين، ويقص تاريخها باختصار. وهنا يبدو ابن خلدون كما يبدو فى مقدمته، ذلك الفيلسوف الاجتماعى الذى يعنى بتعليل الظواهر والكائنات، واستقرائها فى حوادث التاريخ.

والظاهر أن ابن خلدون قد عانى من جراء هذه الفتنة، ففقد مناصبه وأرزاقه كلها أو بعضها بسقوط الحزب الذى يتمتع بعطفه ورعايته. فلما عاد الظاهر برقوق الى العرش ردت اليه. يدل على ذلك قوله فى التعليق على عود الظاهر: «ثم أعاده الى كرسيه للنظر فى مصالح عباده، وطوقه القلادة التى ألبسه كما كانت، فأعاد لى ما كان أجراه من نعمته[١]».

ولبث ابن خلدون على ذلك أعواما ينقطع للبحث والدرس. وهو يقف بالتعريف بنفسه عند هذه المرحلة، حتى مستهل سنة سبع وتسعين (٧٩٧)، فى الترجمة المتداولة الملحقة بتاريخه. ولكنه يمضى فى هذا التعريف مراحل أخرى، فى النسخة المخطوطة التى أتينا على ذكرها؛ ويفصل حوادث حياته حتى مختتم سنة ٨٠٧، أعنى قبل وفاته ببضعة أشهر. والنسخة المخطوطة أكثر تفصيلا واسهاباً حتى فيما تتفق فيه مع النسخة المتداولة من مراحل الترجمة؛ ولهذا آثرنا الرجوع اليها الى جانب النسخة المتداولة فى كل ما هو أوفى وأتم مما تقدم ذكره من المراحل. غير أن النسخة المخطوطة ستكون منذ الآن وحدها مرجعنا فيما سيأتى من تفاصيل حياة المؤرخ حتى وفاته.

ليس فى حياة ابن خلدون فى هذه الفترة ما يستحق الذكر سوى سعيه الى عقد الصلات بين البلاط القاهرى وسلاطين المغرب ويجمل ابن خلدون ذكر هذه الصلات الملوكية، ويصف المراسلة والمهاداة بين صلاح الدين وبنى عبد المؤمن ملوك المغرب؛ وبين الناصر قلاوون وملوك بنى مرين؛ ويصف الهدايا المصرية والمغربية؛ ثم يعطف على مساعيه فى عقد الصلة بين الملك الظاهر وسلطان تونس؛ وملخصها أنه كتب الى سلطان تونس يحثه على اهداء ملك مصر، فأرسل اليه هدية من الجياد النادرة، ولكنها غرقت مع السفينة التى كانت تحمل أسرة المؤرخ كما قدمنا. ورد الملك الظاهر باهداء سلطان تونس؛ ثم بعث سنة تسع وتسعين الى المغرب ليشترى عدداً من الجياد، فزود ابن خلدون الرسل بالارشاد والتوصية. ولكنهم عادوا بهدية فخمة كان سلطان تونس قد أعدها وتأخر ارسالها؛ وعدة هدايا أخرى قدمها أمراء المغرب، ومنها خيل مسومة، وعدد وسروج ذهبية. ويصف لنا ابن خلدون يوم تقديم الهدايا وعرضها ثم يقول لنا إنه شعر يومئذ بالفخر وحسن الذكر بما «تناول بين هؤلاء الملوك من السعى فى الوصلة الثابتة على الأبد»

لبث ابن خلدون بعيداً عن منصب القضاء زهاء أربعة عشر عاما، يحول بينه وبين توليه، على قوله، ذلك الجناح من البلاط

(١) كانت هذه الخانقاه الشهيرة تقع فى طريق باب النصر على مقربة منه

(٢) راجع هذا الفصل فى التعريف (النسخة المخطوطة) ص ١٢٢ وما بعدها — وراجع خطط المقريزى (مصر) ج ٣ ص ٣٩٢

(١) التعريف — بولاق — ج ٧ ص ٤٦٢

الذى شغب فى حقه ، وأغرى السلطان بعزله : فلما ضعف ذلك الحزب وانقرض رجاله، انتهز السلطان أول فرصة لرده الى منصبه. وكان ذلك فى منتصف رمضان سنة احدى وثمانمائة (مايو سنة ١٣٩٨ م) على أثر وفاة ناصر الدين التنسى قاضى المالكية . وكان ابن خلدون عندئذ بالفيوم يعنى بضم قمح ضيعته التى يستحقها من أوقاف المدرسة « القمحية » فاستدعاه السلطان وولاه القضاء للمرة الثانية . ثم توفى السلطان بعدئذ بقليل ؛ فى منتصف شوال ؛ فخلفه ولده الناصر فرج ، وسرى الاضطراب الى شئون الدولة ، واضطرمت الفتن والثورات المحلية حينا . فلما استقرت الأمور نوعاً ، استأذن المؤرخ فى السفر الى بيت المقدس ، فأذن له ؛ وجال ابن خلدون فى المدينة المقدسة ، يتفقد آثارها الخالدة : وشهد المسجد الأقصى ، وقبر الخليل ، وآثار بيت لحم ، ولكنه أبى الدخول الى كنيسة القمامة (قبر المسيح) . يقول لنا « وبناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم ، فنكرته نفسى ، ونكرت الدخول اليه » ثم عاد من رحلته ووافى ركاب السلطان أثر عوده من الشأم فى ظاهر مصر ، ودخل معه القاهرة فى أواخر رمضان سنة ٨٠٢

وفى المحرم سنة ثلاث عزل ابن خلدون من منصب القضاء للمرة الثانية . وسترى أن هذا العزل كان نتيجة لسعى منظم من خصوم المؤرخ ، وأن تكراره كان مظهراً بارزاً لذلك النضال الذى كان يضطرم بينه وبين خصومه داخل البلاط وخارجه . ولم يمض قليل على ذلك حتى جاءت الأنباء بأن تيمورلنك قد انقض بجيوشه على الشام واستولى على مدينة حلب فى مناظر هائلة من السفك والتخريب (ربيع الأول سنة ٨٠٣ هـ — ١٤٠٠ م) ثم اخترق الشام جنوبا الى دمشق . فروعت مصر لهذه الأنباء ، واضطرب البلاط أيما اضطراب ، وهرع الناصر فرج بجيوشه لملاقاة الفاتح التترى ورده ، واصطحب معه القضاة الأربعة وجماعة من الفقهاء والصوفية ومنهم ابن خلدون . ولا ريب أن المؤرخ لم ترقه هذه المفاجأة التى ذكرته بما عاناه بالمغرب من تلك المهام السلطانية الخطرة ؛ بل هو يقول لنا صراحة أنه حاول الاعتراض والتملص ، لولا أن غمره يشبك حاجب السلطان « بلين القول ، وجزيل الانعام[1] » . ويفرد المؤرخ فصلا لحوادث تلك الحملة ، ويمهد له بتعريف عن نشأة التتار والسلاجقة . وكان سفر الحملة فى ربيع الثانى سنة ٨٠٣ . فوصلت الى دمشق فى جمادى الأولى ، ونزل ابن خلدون مع جمهرة الفقهاء والعلماء فى المدرسة العادلية ، واشتبك جند مصر توا مع جند الفاتح فى معارك محلية ثبت فيها المصريون ؛

(١) التعريف — النسخة المخطوطة .

وبدأت مفاوضات الصلح بين الفريقين . ولكن مؤامرة دبرها نفر من بطانة السلطان لخلعه اضطرته للعودة سريعاً الى مصر ؛ فترك دمشق لمصيرها ، وارتد مسرعا الى القاهرة فوصلها فى جمادى الآخرة . وعلى أثر ذلك وقع خلاف بين القادة والرؤساء حول تسليم المدينة . وهنا تغلب المؤرخ نزعة المغامرة كما تغلبه الأثرة . فقد خشى أن تقع المدينة فى يد الفاتح ، فيكون نصيبه الموت أو النكال ؛ ورأى أن يعتصم بالجرأة ، وأن يغادر جماعة المترددين الى معسكر الفاتح ، فيستأمنه على نفسه ومصيره . ويحدثنا المؤرخ عن ذلك بصراحة ، فيقول معلقا على ماشجر بين القادة من خلاف « وبلغنى الخبر ، فخشيت البادرة على نفسى ، وبكرت سحراً الى جماعة القضاة عند الباب ، وطلبت الخروج ، أو التدلى من السور لما حدث عندى من توهمات ذلك الخبر[1] » . وانتهى المؤرخ باقناع زملائه فأدلوه من السور ، وألفى عند الباب جماعة من بطانة تيمورلنك وابنه شاه ملك الذى عينه لولاية دمشق عند تسليمها فانضم اليهم ، والتمس منهم مقابلة تيمور ؛ فساروا به الى المعسكر وأدخل فى الحال الى خيمة الفاتح . ويصف لنا ابن خلدون ذلك اللقاء الشهير فى قوله : « ودخلت عليه بخيمة جلوسه ، متكئاً على مرفقه ، وصحاف الطعام تمر بين يديه تشريها الى عصب المغل ، جلوسا أمام خيمته حلقاً حلقا . فلما دخلت عليه ، فاتحيت بالسلام وأوميت ايماءة الخضوع ، فرفع رأسه ، ومد يده الى فقبلتها ؛ وأشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت ، ثم استدعانى من بطانته الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهاء الحنفية بخوارزم فأقعده يترجم بيننا[2] » .

 للبحث بقية

(١) التعريف — النسخة المخطوطة .
(٢) « « «

البيروني أيضاً

نشرتم في ص ٢٠ من الجزء الرابع من الرسالة ترجمة للبيروني حسنة التألف والمضامين متناولة لكثير من مناحي الرجل العلمية والفنية، ولكنها مغفلة لمنحاه الأدبي المصطلح عليه في عصره، وهذا مما تعنى به الرسالة ويصيب منها هوى فيه، فللبيروني كتاب «شعر أبي تمام» قال ياقوت الحموي «رأيته بخطه لم يتمه» وكتاب التعلل باجالة الوهم في معاني نظم أولي الفضل، وكتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه، وكتاب المسامرة في أخبار خوارزم ذكره ياقوت أيضاً في مادة «خوارزم» وكتاب مختار الأشعار والآثار قال ياقوت «وانما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً وله تصانيف في ذلك» ولم يذكر في الترجمة المنشورة في الرسالة كتابه «تقاسيم الأقاليم» قال ياقوت «وجدت كتاب تقاسيم الأقاليم تصنيفه وخطه وقد كتبه في هذا العام ٣» وليس هو الذي أشير اليه في الرسالة بما نصه «وعمل قانوناً جغرافياً كان أساساً لاكثر القسموغرافيات المشرقية» وله كتاب «اعتبار مقدار الليل والنهار» وسبب تأليفه أن السلطان محمود الغزني ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهد، في ما وراء البحر نحو القطب الجنوبي (كذا) من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليل، فتسارع السلطان على عادته في التشدد في الدين، الى نسبة الرجل الى الالحاد والقرمطة، على كونه بريئاً منهما، فقال أبو نصر بن مشكان للسلطان «ان هذا لا يذكر ذلك عن رأي يرتئيه ولكن عن مشاهدة يحكيه» وتلا قوله عزوجل «وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً» فسأل السلطان أبا الريحان عن ذلك فأخذ يصفه له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الاقناع، وكان السلطان في بعض الأوقات يحسن الاصغاء ويبذل الانصاف، فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبينه وقتئذ، وبعد تولي ابنه مسعود للسلطنة انبعثت القضية ائتنافاً وفاوض البيروني يوماً فيها وفي سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض وأحب من أبي الريحان البرهان ليجتزىء به عن العيان، فقال له أبو الريحان «أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين، والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض، فأخلق بهذه المرتبة ايثار الاطلاع على مجاري الأمور وتصاريف أحوال الليل والنهار ومقدارها في عامرها وغامرها» وصنف له ذلك الكتاب المتقدم ذكراً بطريق يبعد عن مواضعات المنجمين والقابهم ويقرب تصوره من فهم من لم يرتض بهذا العلم ولم يعتده، وكان السلطان قد مهر في العربية فسهل له وقوفه عليه وأجزل إحسانه اليه، وكذلك صنف كتاباً في «لوازم الحركتين» بأمر هذا السلطان. قال ياقوت «وهو كتاب جليل لامزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل وكتابه الآخر المعنون بالدستور الذي صنفه باسم شهاب الدولة أبي الفتح مودود بن السلطان الشهيد، مستوف أحاسن المحاسن» وذكر له صاحب روضات الجنات غير ماجيء به في الرسالة كتاب «تسطيح الكرة» وكتاب «الاستيعاب في علم الاسطرلاب» وهو غير «العمل بالاسطرلاب» وكان كبيراً على ما قال مؤلف الروضات، وكتاب «تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن» وكتاب «التفهيم في صناعة التنجيم» بالعربية والفارسية، وكتاب «الأظلال» ورسالة في تهذيب الأقوال ومقالة في استعمال الاسطرلاب الكري وأخرى في تلافي عوارض الزلة في دلائل القبلة، وكتاب اختصار بطليموس القلوذي، وكتاب الأطوال للفرس، وتاريخ الهند وهو مجلدات، ونفهم من كلام صاحب الروضات أن العلماء اختلفوا في اسمه فترجمه بعضهم في باب «المحمدين» وبعض مع الأحمدين وفعل هو الأمرين، وأن صلاح الدين الصفدي ذكره في تاريخ «الوافي بالوفيات» وذكره صاحب طبقات النحاة ومؤلف رياض العلماء وحمد الله المستوفي الفارسي في نزهة القلوب، وذكره القفطي في ترجمة «بطليموس القلوذي» الذي أسلفنا ذكراً له. قال «وما أعلم أحداً تعرض لتأليف مثل كتابه المعروف بالمجسطي ولا تعاطى معارضته بل تناوله بالشرح والتبيين كالفضل بن ابي حاتم التبريزي وبعضهم بالاختصار والتقريب كمحمد بن جابر البتاني وأبي الريحان البيروني الخوارزمي مصنف كتاب القانون المسعودي الفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين وحذا فيه حذو بطليموس ...» وذكره شمس الدين الشهرزوري في تاريخ الحكماء فقال «أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني وبيرون مدينة في السند ...» وقال ياقوت «وهذه النسبة معناها: البراني لأن بيرون بالفارسية معناه: برا، وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلا وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق، يعني أنه من برا البلد» وأقول إن التكلف في تخريج نسبته ظاهر، فالشهرزوري أتبع قوله السابق ماصورته «وبيرون التي هي منشأه ومولده بلدة طيبة فيها عجائب وغرائب، ولا غرو فان الدر ساكن الصدف» وقد الحق في كتابه اثار الباقية المطبوع في ليبزيج ثبت لكتبه فيه اسم (١١٢) تأليفاً

بغداد مصطفى جواد

من طرائف الشعر

شوقيـــة لم تنشر

نظم شاعر الخلود المغفور له شوقى بك هذه القصيدة فى منفاه ولم يتمها . فنشرناها للادب والتاريخ

وسقيمة الأجفان لا من علة — تحي العميد بنظرة وبميتـه
وصلت كتربها الحـديث بضاحك
ضاحٍ كمؤتلف الجمان شتيتـه

....

قالت تغربت الرجال، فقلت فى — ضيم أريد بجانبى فأبيتـه
قالت نُفيت، فقلت ذلك منزل — وردّته كل يتيمـة ووردته
قالت رماك الدهر، قلت فلم أكن — نِكساً ولكن بالاناة رميته
قالت ركبت البحر وهو شدائد — قلت الشدائد مركب عوّدته
قالت أخِفت الموت قلت أمُفلت — أنا من حبائله اذا ما خفته؟
لو نلت أسباب السماء لحطنى — أجل يحـل لحينه موقوته
قالت لقد شَمِتَ الحسود فقلت لو — دام الزمان لشامت لحفلته
قالت كأنى بالهجاء قلائداً — سارت، فقلت هممت ثم تركته
أخذت به نفسى فقلت لها دعى — ماشاءت الأخلاق لا ماشئته
من راح قال الهُجر أو نطق الخنا
هـــذا بيانى عنهما نزّهتـــه
الله علمنيـــه سمحاً طاهرا — نزِه الخلال وهكذا علمتـه

كشافة العراق

للأستاذ محمد الهراوى

هذى العراق وأهلها الغر — تهتز من طرب بهم مصر
أبناء بغداد ، وهم شهب — فى أفق مصر الأنجم الزُّهر
نزلوا بساحتها ، وقد نزلوا — حيث الحشا والقلب والصدر
كشافة شدوا رحالهمو — لا البر يعييهم ولا البحر
ومن السلام عليهمُ بشر — ومن الحمية فيهمُ جمر
عن مصر حيتهم مواسمها — وعن الربيع الطير والزهر
لله بغـداد ومصر معاً — فهما الحمى والموطن الحر
أختان من رحم ومن نسب — غذى أصولها الدم الطهر
ولقـد توارثتا معاً أدباً — ينبيك عنـه النثر والشعر
ولقـــد تشابهتا فأرضهما — من جنة ، والكوثر النهر
والدين وحد بين قومهما — رمياتهم ، والمطمح الوعر
ماضيهمو مجد ، وحاضرهم — جـد ، وللمستقبل النصر

من أدب الزنوج

ترجم الاستاذ ايليا أبو ماضى هذه الانشودة من أناشيد الزنوج فى أمريكا واضطهاد البيض اياهم معروف

فوق الجميـزة سـنجاب — والأرنب تمرح فى الحقـل
وأنا صـيّاد وثاب — لكن الصيد على مثلى
محظور إذ أنى عبـد
والديك الأبيض فى القُن — يختـال كيوسف فى الحسن
وأنا أتمـــنى لو أنى — أصطاد الديك ولكنى
لا أقدر إذ أنى عبـــد
وفتـــاتى فى تلك الدار — سوداء الطلعـــة كالقار
سيجىء ويأخـذها جارى — ياويحى من هـــذا العار
أفلا يكفى أنى عبـــد ؟

الهوى والشباب

للاستاذ بشاره الخورى

الهوى والشباب والأمل المنـــشود توحى فتبعث الشعر حيا
والهوى والشباب والأمل المنـــشود ضاعت جميعها من يديا
يشرب الكأس ذو الحجى ويبقى — لغد فى قرارة الكأس شيّا
لم يكن لى غد فأفرغت كأسى — ثم حطمتها على شفتيا
أيهـا الخافق المعذب يا قلبى نزحت الدموع من مقلتيا
أفحتمٌ على أرسال دمعى — كلما لاح بارق فى مُحيا؟
ياحبيبى لأجل عينك ما ألـــقى وما أوّلَ الوشاة عليا
أأنا العاشق الوحيد لتُلقى — تبعات الهوى على كتفيـا
أسقنى من لماك أشهى من الخمـــر ونم ساعـة على راحتيا
أنا ميتٌ غدا مع الفجر فاسكب — نغمات الحنـان فى أذنيـا

نظرات فى الأدب الفارسى

منذ نشأته إلى إغارة التتار

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ٣ -

وأما ألفاظ الشعر ففيها كثير من الالفاظ العربية وعليها طابع عربى فى تركيبها، ولكن أثر العربية فى الشعر أقل منه فى النثر.

واما قوافيه وأوزانه فلا يمكن تفصيلها فى هذا المقال، وحسبنا أن نقول إن الفرس يكثرون من الشعر المزدوج الذى يسمونه المثنوى وهو شعر القصص كلها، وأكثروا كذلك من الدوبيت أو الرباعى، وعندهم ما يسمونه تركيب بند، أو ترجيع بند، وهو قريب من الموشحات العربية — وعندهم الشعر المردف وهو الذى تكرر فى آخره كلمة واحدة ويعتبر الروى والقافية ما قبل هذه الكلمة.

وجملة القول أنهم لم يسهلوا القوافى العربية وان اخترعوا ضروبا فيها.

وأما الوزن فجدير بالتدقيق جداً، فان الفرس حاكوا العرب فى أوزانهم أول الامر ولكنهم سرعان ما نبذوا أشهر الاوزان العربية. فالطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل، وهى بحور الدائرة الاولى، لم ينظم فيها الفرس الاجماعة من المتقدمين ارادوا اظهار براعتهم كما يقول شمسى قيس. ونظموا فى الرمل والرجز والخفيف والمضارع والمجتث والمتقارب (وهو وزن الشاهنامه) وأولعوا بالهزج ولعاً شديداً حتى جعلوه أصلا فرعوا منه اصناف الرباعى وخرجوا به عن أصله العربى

ويلاحظ أنهم لم يقفوا بالبحور عند المقادير العربية، فالرمل قد يأتى مثمناً والرجز كذلك وما جاءا قط كذلك فى شعر العرب، والهزج - مثلا - الذى هو سداسى الاصل عند العرب ومجزوء وجوباً ينظم منه الفرس مثمنا. ثم تصرف الفرس فى الزحاف والعلل تصرفاً كثيراً جدا، واشتقوا من الدوائر العربية بحوراً اخرى قريبة من البحور الأصلية مثل الغريب والمشاكل والقريب.

وقد اراد بعض المستشرقين أن يعلل الخلاف بين الاوزان العربية والفارسية الخ بما بين طبائع الامتين من اختلاف

ويقول شمسى قيس أن سبب نقل الطويل والمديد والبسيط أن أجزاءها غير متناسبة فى حركاتها وسكناتها ويطيل فى بيان ذلك.

ولا يمكن الفصل فى هذه المسألة الا بعد بحث مفصل فى أوزان الشعر العربى وعلاقتها بالكلمات العربية، وفى تطور الاوزان العربية فى الشعر الفارسى وتبيين ما بين هذا التطور ولغة الفرس من صلة، وبعد بحث طويل شاق لم تتهيأ وسائله.

وأما النثر الفارسى فأثر العربية عليه أبين: الالفاظ العربية فيه اكثر، والتركيب قريب من التركيب العربى، ولكن لا بد من الفرق بين النثر الادبى - نثر الرسائل والمقامات ونثر الكتب، فأما الاولى فقريبة من الشعر، وأما الثانية فيفرق فيها بين كتب التاريخ

موطنى

لنزيل البرازيل: الياس فرحات

نازح أقعده وجد مقيم ... فى الحشا بين خمود واتقاد
كلما افتر له البدر الوسيم ... عضه الحزن بأنياب حداد
يذكر العهد القديم ... فينـــادى
أين جنات النعيم ... من بلادى

....

زانها المبدع بالفن الرفيع ... منصفا بين الروابى والبطاح
ملقيا من نسج ابكار الربيع ... فوق أكتاف الربى أبهى وشاح
حبذا راعى القطيع ... فى المراح
ينشد اللحن البديع ... للصبـاح

....

موطنى يمتد من بحر المياه ... ممعنا شرقا إلى بحر الرمال
بين طوروس وبين التيه تاه ... بجمال فائق حد الجمال
ذكره يغرى فتاه ... بالمعـالى
أنا لا أبغى سواه ... فهو مالى

التى هى قصص يستعمل فيها الكلام المعتاد غالبا وبين المؤلفات العلمية مثل كتب الفقه والتوحيد والبلاغة والطب وهلم جرا . فهذا الصنف الاخير يكاد يكتب بألفاظ عربية ، وتستعـــار فيه كل الاصطلاحات العربيـة ، فاصطلاحات البلاغة وضروب البديع واصطلاحات العروض أخذت برمتها ، وما زادوه فيها اشتقوه من العربية أيضا ، ثم المؤلفات كلها علميها وأدبيها يتخللها كثير من المقتبسات العربية ، ففى كتب الدين الآيات والاحاديث ، وفى كتب الادب والتاريخ كثير من الابيات والامثال والمأثورات ، وقد تجد من ذلك اسطرا كثيرة متوالية .

قد عرفنا حال اللغة الفارسية فى ايران اجمالا ، وكيف بدأت وكيف تطورت وكيف شاركت فى فنون كثيرة . وقد يتردد فى نفس القارىء هذا السؤال : ماذا أصاب اللغة العربية فى تلك البلاد بعد أن صار لها لغة أدبية خاصة ؟ هل استبدت اللغة الفارسية بالآداب ولم يبق للعربية فيها مجال ؟ والجواب كلا ! !

قد تقلبت الغير باللغتين ولكن يمكن إن يقال أن العربيـة احتفظت بالسيادة فى الاطوار كلها فيما عدا الشعر . فأما أدلة هذا وتفصيله ففى هذه الكلمة الموجزة .

لا ريب ان المؤلفات العربية التى الفت فى بلاد الفرس ما بين أول القرن الرابع وغارات التتار أكثر جداً من نظائرها الفارسية ، ولكن ينبغى أن نفرق بين الشعر وبين غيره أيضاً فان الامر فيهما لا يجرى على سنن واحد :

فاما العلماء المؤلفون فلاحرج على باحث أن يقول أنهم كلهم كانوا يعرفون اللغتين ، وقد ألف بعضهم فيهما ولكن المؤلفين بالعربية أشهر ذكرا وأعظم اثرا . وحسبنا أن نذكر ابن مسكويه وابن سينا والبيرونى والعتبى والغزالى والرازى والزوزنى والتبريزى والنسفى والبيضاوى والطوسى

وأحسن مقياس فى هذا أن نعمد الى جماعة ممن الفوا باللسانين لنرى أمؤلفاتهم العربية أكثر وأعظم أم الفارسية . ولا أحسب الامر يحتاج الى عناء ، فيكفينا أن نذكر الغزالى فنحن نعرف مؤلفاته العربية وليس له فى الفارسية الا رسالتان : كيمياء السعادة ونصيحة الملوك ، وقد صرح فى الاولى انه الفها بالفارسية ليفهم العامة ـ وفخر الدين الرازى له زهاء ٣٠ مؤلفا يعرف منها فى الفارسية واحد فقط هو اختيارات علائى ، ونصير الدين الطوسى على تأخر زمانه له نحو ٥٠ مؤلفا قليل منهـا الفارسى . والبيضاوى الف تفسيره بالعربية ولم يمنح الفارسية الا كتابا صغيرا اسماه نظام التواريخ.

وأما الشعر وما يتصل به فلا ريب أن النبوغ كان لشعراء الفرس أو اشعراء الفارسية ، فليس فيمن شعروا بالعربية ببلاد الفرس أمثال الفردوسى أو الأنورى أو العنصرى ، ولكن أكثر العلماء الذين اتخذوا العربية لغة علم كانوا ينظمون شعرا عربيا . وكثير من شعراء الفرس نظموا شعرا عربيا كذلك . وحسبنا أن نعرف أن الثعالبى وهو من رجال القرن الرابع ذكر فى الجزء الثالث والجزء الرابع من اليتيمة واحدا وخمسين ومائة من معاصريه الذين نظموا الشعر العربى فى ارجاء بلاد الفرس وهم أكثر من كل شعراء الفرس الذين ذكرهم عوفى وهو فى القرن السابع .

ومن الشعراء الذين نظموا باللغتين بديع الزمان الهمذانى وأبو الفتح البستى وقد ضاع ديوانه الفارسى ، والبديع البلخى الذى مدح احد الأمراء بشعر ملمع . وعطاء بن يعقوب الكاتب وكان له ديوانان عربى وفارسى ، والباخرزى ، وابن سينا . والشيخ سعدى . ومن الكتاب رشيد الدين وطواط صاحب حديقة الشعر وله رسالة عربية منشورة فى رسائل البلغاء .

لم يكن حال اللغتين سواء فى العصور كلها فقد كانت الفارسية منذ ظهرت فى صعود بينما كانت العربية فى هبوط ـ وهذا الهبوط كان ابين فى الشعر منه فى العلم ، فالراوندى مؤلف راحة الصدور ينقل أبياتا عربية بليغة لأحد وزراء السلاجقة ثم يأسف على ذلك الزمن ويقول : ان وزراء زمنه لا يفهمون مثل هذا ـ وصاحب المعجم من رجال القرن السابع يقول ان شعراء زمانه يعرفون اللغتين ولكنه لما نظم كتابه فى العروض بالعربية نقم عليه أدباء فارس حتى قسم الكتاب قسمين المعجم والمعرب

ذعونى يقول : فان كل مستعرب يعرف الفارسية وليس كل شاعر فارسى يعرف العربية ، على أن اللغة الفارسية نفسها لم تكن قد ضبطت قواعدها كقواعد العربية حتى نجد شمس قيس فى القرن السابع يشكو من هذا ويشرح القواعد شرح المستنبط الذى لم يسبق أطوار الترجمة .

والخلاصة أن العربية فيما عدا الشعر حلت مكانة فوق الفارسية حتى غارات التتار التى عصفت بالحضارة الاسلامية واصابت العلوم والآداب بضربات لم تفق منها حتى اليوم

والكلام عن اللغتين بعد سقوط بغداد لا يجرى على هذا النمط ، وعسى أن تتاح فرصة للكلام فى ذلك

حول الادب اليابانى

كتب الينا الاديب نادر الكزبرى من ندوة المأمون بدمشق يلاحظ على الاستاذ احمد الشنتناوى أنه لم يشر فى آخر مقاله (الادب اليابانى) الى انه منقول بالنص عن مقال فرنسى نشر فى عدد يناير سنة ١٩٣٣ من مجلة الشهر (Le mois) تحت عنوان (اقليم اليابان الادبى) ولعل ذلك سهو من الكاتب يتداركه إن شاء

فى الأدب الروسى

تولستوى

ناحية من نواحى فلسفته

طفل خجول نفور من الناس ، لكنه رقيق المشاعر شديد الحس جياش العاطفة . ثم جندى يحارب فى سبيل الوطن . مستهتر متهتك مبالغ فى الاستهتار . وهو ملحد مغرق فى الالحاد ساخر بالدنيا . ثم هو كهل شديد الايمان قوى الثقة فى الحياة .

وأخيراً تتمخض حياة الروائى الكبير عن شيخ يعتزل ثروته ويترك المدنية بكل زينتها وخداعها ونفاقها ليعمل جنباً إلى جنب مع فلاحيه ، وليفيض قلبه حنانا على الانسانية المعذبة . وليصبح شخصية خالدة على ممر الدهور .

هكذا كان تولستوى وهكذا كانت حياته .

ثم فلسفة قوية مليئة بالحياة هى فلسفة الايمان والعاطفة ، وعاطفة قوية صريحة يدعمها العقل ، ويحركها التأمل ، ويفيض عليها الالهام نورا وعمقا .

هكذا كانت فلسفة تولستوى .

فلن تجد فى فلسفته هذه المشكلات المنطقية ، وهذا اللف والدوران وهذا التكلف والتعمل اللذان تجدهما فى كثير من الفلسفات .

بل لم يحاول تولستوى مرة أن يضع كتابا فى الفلسفة أو يجمع آراءه فى صورة مرتبة منمقة .

ففلسفته فى شتات رواياته التى تتجاوز العشرين . وهى فى شتات أشخاص هذه الروايات التى تعبر كل واحدة منها عن ناحية من نواحى المؤلف نفسه: عن شكه أو سخريته ، عن ايمانه أو الحاده .

ولذلك ففلسفته محببة الى النفس . يقدمها فى لون من أشهى الألوان الى القلب : فى صورة قصة أو فى صورة ذكريات .

وهو لم يكن يكتب ليرتزق من وراء كتبه كمعظم الروائيين . ولم يكن يكتب ليضحك من الناس أو يسخر منهم كما فعل أناطول فرانس . بل كان يكتب معبرا عن عاطفة قوية أحست بالحياة ، وشكت فى الاله ، ثم آمنت به من بعد شك . ثم اعتزت بالحياة من بعد سخرية .

وهو لم يبحث فى الاله وصفاته ، أو فى الروح وطبيعتها ، أو فى الجسد وعلاقته بالروح ، أو فى الزمان والمكان ، أو فى ترتيب الخلق والموجودات ، أو فيما شابه ذلك من أمهات المسائل التى تشغل بال الفلاسفة . بل كانت فلسفته من صنف آخر لا يقل جودة ولا ينقص عظمة ولا عمقا . حاول فيها أن يخفف من الآم الانسانية وعذابها ، وأن يرشد الفرد والجماعة إلى الطريق السوى . وأن يرسم لهما مثلا أعلى يعملان من أجله . فلسفة بحثت فى جميع أمراض الانسانية فشخصت الداء وبينت مواضع الضعف . ثم أخيرا أرشدت إلى أنواع العلاج .

وقد عالج تولستوى سعادة الفرد وكيف يمكن تحقيقها ، ووصف عيوب المجتمع الذى نعيش فيه . وبين سخافاته ومتناقضاته والطريق الى علاج هذه المتناقضات . وبحث فى الدين والعلم والفن وأخيرا فى كل ما يمس المجتمع الانسانى وما يتصل بافراد هذا المجتمع بسبب .

وسنحاول فى هذه العجالة أن نطلعك على ناحية من نواحى فلسفته . ناحية حاول فيها أن يرسم للفرد مثلا أعلى . وأن ينهج له الطريق إلى السعادة التى ينشدها .

* * *

كل منا قد تساءل ما الحياة وما قيمتها ؟ ولماذا نحياها هكذا ؟ أخلقنا لنشقى أو عشنا لنموت ؟

وكل منا مرت به ساعات من السخط على الحياة أو الابتسام لها . لاندرى لماذا نبتسم ولماذا نسخط ؟

وكل منا يرغب فى سعادة هادئة مطمئنة ، سعادة لا يفوز ولم يفز ويظهر أنه لن يفوز بها ! ومع ذلك فنحن دائبون فى العمل

لها . وهى دائبة فى البعد عنا .

ومر بخلد تولستوى هذه الشكوك وانتابه هذه الحيرة وجرى وراء السعادة ، فأقبل يرتوى من منهل الحيـاة : يعربد ويتهتك ويتمتع بكل ما حرم ولذ ، ونال من الحياة مالم ينله غيره .

فهو من اشراف الروسيا ، له من المجد مالهم ، وله من العبيد ما يزيد على سبعمائة . وهو غنى فى غير حاجة الى عمل يرهقه ، أو رئيس يخضع له ، والطبيعة وان لم تزوده بوجه جميل ، قد أعطته من جمال الروح ورقة العاطفة ما خفف من حدة قبحه ، وقلل من بشاعة منظره ، وتزوج فاخلصت له زوجه ، وتمتع بأشهى ما تصبو اليه نفس من وفاق عائلى وذرية صالحة

ماذا يريد بعد هذا من أطايب الحياة ولذات المعيشة ؟

على أنه لم يفز بالأمل المنشود . ولم يظفر بالسعادة ولا بظلها ، بل كان ينتابه شعور بسخف الحياة وعبثها .

فهى إما ساكنة هادئة، ولكنها مملة جافة . وهى إما مضطربة هائجة ، ولكنها مؤلمة قاسية . وهى فى كل هذا سخيفة من دون معنى ولا غرض ولا غاية واضحة . أيعتزلها كراهب ؟ ولكن انى له الخبز الذى يملأ بطنه الجائع ؟ وما قيمة حياة يعتزلها المرء ؟ وانى للانسانية أن تعيش اذا قدر لكل فرد أن يعتزل العالم ؟ وهل يجد الانسان فى العزلة راحة وهدوءا ؟

أيحياها كما حييتها مئات الأجيال من قبـــله ، وكما ستحياها من بعده ؟ ولكن هذه سخافة لا تطاق . وما الذى يحمله على أن يتعذب ويتألم ويقاسى ليكون نعجة من نعاج هذا العالم يسمن ليذبح ، أو يهزل ليمرض ويموت ؟ أيعتقد فى حياة اخرى ليست هذه الدنيا الا مزرعة لها ؟ وما يكون اذن معنى الحياة ؟ أهى تجربة سخيفة ؟ وماذا يمنعنا من اختصار هذه التجربة ؟ ولماذا لا نسرع فنأتى على حياة بائسة لندرك أخرى أسعد منها أو أقل منها سخفا .

وأخيراً ما هى السعادة ؟ وما الطريق اليها ؟ أهى ثروة وضياع وجاه ؟ ولكن تولستوى جربها فلم تبدد شكوكه ولم تشبع مطامعه بل أصابه منها ملل قاتل لا يدرى كنهه، وسأم مروع زهده فيها .

أهى درس وقراءة واطلاع ؟ ولكن تولستوى قرأ وقرأ أحسن ما انتجه بشر ، فلم ترضه هذه القراءة ، ولم تضع حدا لشكوكه ، وأخيرا ما فائدة الاطلاع والمعرفة والعلم ؟

وقف تولستوى من الحياة هذا الموقف ، وأخذ يفكر ويجهد نفسه فى التفكير لعله يوفق الى تعريف للحياة . وأخذ يقرأ لعله يصل الى حل يطمئن اليه أو فلسفة يرضى عنها . ولكنه حاول عبثا وبدا له أخيراً أن الفكر وأعنات الروية لن يجديا شيئاً . وتملكه يأس وأخلص فيه . ولكن ما لبث أن أشرق عليه نور جديد : نور الايمان فى الله ، ونور الاعتقاد فى الحياة وفى عظمتها . نور وهاج قوى يقف أمامه العقل خاشعا، ولا يستطيع العلم المادى بكل جبروته أن يجابهه أو يسخر منه !

* * *

أنريد فهما للحياة ولسر وجودنا فيها ؟ أنريد فوزا بالسعادة ؟ حسن ! فلنعمل ما تطلبه منا الحياة . ولتنفذ مشيئة الله . وما غاية الحياة ؟ هى أن نعمل ونجيد ما نعمله . وليكن عملنا فى سبيل الغير، ولنضح بأنفسنا فى سبيلهم ، ولنحبهم كما نحب أنفسنا بل أكثر مما نحبها . ولنتعاون معهم ، ولننم جميع قوانا من عقلية وجسمية ، ولنحسن استخدامها فى خدمة الآخرين : التعاون ، الحب ، العمل ، تالوث مقدس هو سر الحياة وسر السعادة . ليمتد حبنا الى جميع أفراد الانسانية . ولنعمل لاخواننا فى البشرية ، ولننس أنفسنا فنكون بذلك قد أدينا مهمة الحياة التى خلقنا من أجلها وفى هذا طمأنينة لنا وهدوء .

لقد أسأنا فهم الحياة . وحسبناها مسرحا لقتال دام يفترس فيه القوى الضعيف، ويلتهم فيه الكبير الصغير . ثم اتهمناها بالقسوة وما هى بقاسية بل هى أعز شىء فى الوجود

وحسبنا السعادة فى هذا النضال السمج ، وحسبنا الراحة فى هذا القتال العنيف

بالغنا فى الأنانية ، أردنا الحياة لنا وحدنا ، أردنا مالا وجاها وحبا وبنين لأنفسنا ولأنفسنا وحدها

والحياة لا تريد منا هذا ، فالفرد ذرة لا معنى له فى الوجود دون غيره ، ذرة من أصغر ذرات العالم ، فاذا ما اجتمعت هذه الذرات واتحدت وتعاونت استطاعت أن تصل الى أقصى سعادتها وهى مستطيعة أن تنال جميع أمانيها ، فاذا ما اختلفت وتناحرت وتفرقت أصبحت لاشىء . وهى واقعة فى شقاء لاخلاص منه .

لقد ظننا بالحياة شراً ، وقد حاولنا أن نجعل من قانون سخيف

ندعوه تنازع البقاء وبقاء الأصلح قانونا للحياة. فالأفراد فى تنافس، والأمم فى تناحر، ومن هذا النزاع الدائم يتولد البؤس واليتم والفقر والآلام، وتتولد الانسانية عاجزة خادعة ماكرة ضعيفة

لننس هذه الأحقاد مرة واحدة. ولنتعاون، ولينس الفرد انه خلق لنفسه، وليجعل غايته خدمة غيره. خدمة أولاده، خدمة أفراد الانسانية جمعاء، اذن يخف كل شقاء. وتعم السعادة الجميع. ستقول هذا خيال شاعر وأمل فيلسوف.

ولكن تولستوى لا يقول لك ضح بنفسك لأن فى التضحية نبلا أو جمالا. وهو لا يقول لك كن خيراً لأن الجنة للخير والنار للشرير. وهو لا يزعم أن فى خدمة الآخرين قياما بواجب لا تستطيع أن تفهم من فرضه عليك.

هو يقول لك أحب جارك واعمل لغيرك، لأن هذا هو قانون الحياة، ولأنك لا تملك عنه محيدا، وهو يقول ضح بنفسك لأنك ستضحى بها مرغما إذا أبيت. وهو يقول لك سامح عدوك وأدر له خدك الأيسر اذا أصاب منك الخد الأيمن لأن فى الخلاف شقاء لك وله.

وليس فى هذا جرى وراء خيال أو مثل أعلى يضاف الى غيره من الأمثلة العليا. ولكن جرب بنفسك. اقتنع بأنك خلقت لغيرك وسترى أى سعادة تجلبها عليك هذه التجربة، لن يخيفك الموت بعد هذا لأنك سترى فيه افساحا للطريق أمام غيرك. لن تعبأ بالآلام تصيبك لأنك سترى فيها تخفيفا لآلام اخوتك من البشر.

أما إذا أبيت هذا، وضننت بنفسك أن تكون ضحية فى سبيل الآخرين، فكن أنانيا جشعا وابلغ المجد على اكتاف الناس، واجمع حولك من متاع الدنيا ما تسرقه وما لا تسرقه، ولكنك لن تكون سعيدا. وستظل شقيا بائساً، ولن تشعر براحة مادام لديك ذرة من ضمير. وستمعن الحياة فى السخرية منك، تجعلك آلة لها تنفذ مسيئتها، وستكون ضحية على رغم أنفك، وستعيش خائفا وجلا من الموت أو من خصم قوى وسيؤنبك، ضميرك ولا يلبث أن يضيع ما أنفقت حياتك من أجله، سيلتهم مالك وجاهك من هو أقوى منك، أو لا تلبث أن تموت، فيتمتع به غيرك، وبذا تكون الحيـــاة قد انتقمت منك شر انتقـــام.

وليس معنى خدمتك للغير أو تضحيتك بالنفس أن تنسى ذاتك أو تعتبرها كالا مهملا فى الوجود. اذ هى شرط من شروط الحياة وشرط هام لا تستطيع الانسانية أن تتحقق بدونه، ولكنها ليست غاية الحياة، وليس من أجلك وحدك قد كانت الحياة.

وليس معنى هذا أن تكبت غرائزك أو تحمل بفسك ما لا تطيق. بل وجه نشاطك إلى ما خلق له..

فى مثل هذه اللغة البسيطة الساذجة القوية يحدثك تولستوى.

ولا يضير فلسفة تولستوى ان تبدو شعرية عاطفية إذ هى لا تكاد تخرج عما قالته الاديان. فالمسيحية ومن قبلها اليهودية ومن بعدها الاســــلام تبشر بما قال تولستوى. وكلها حضت على التعاون وقالت أن المؤمنين اخوة وأحب لغيرك ما تحب لنفسك. وكلها رفعت من شأن العمل للآخرين وكلها حضت على الايثار وكلها امرت بالتقرب الى الله وحده وجعلت منه رمزا للوحدة

لم يأت بجديد. ولكنه أحب أن يثبت أن ما قالته الأديان صحيحا، وانه عملى، وانه الطريق الأوحد الى السعادة الفردية والانسانية، وأحب فوق هذا أن يبين أن ما قالته الأديان ليس مثلا أعلى يصعب تحقيقه، بل هو الغاية التى لا محيد عنها، والشىء الذى نعمله كارهين أو راضين.

لقد رأى أن الحياة لا معنى لها فى الافراد مشتين. بل لا يمكن تصورها الا فى الافراد مجتمعين متعاونين. وقد رأى أن للحياة غرضا بسيطا هو ان يلتئم الأفراد ويتحدوا. هو أن تجتمع الذرات الأنسانيه لتصبح ذرة واحدة كبيرة ترجع الى خالقها. وفى هذا الاتحاد كل سعادتها.

ولم ير الحياة الدنيا اعدادا لحياة أخرى كما ترى معظم الاديان بل وجد فيها سلسلة لا تنقطع. فليس فى موت الأفراد انتهاء للحياة. بل موتهم معناه بقاؤهم فى نسلهم، ومعناه حلقة جديدة قد تكون أحسن استعدادا وأكثر تضامنا.

وهو متفائل راض مطمئن على مصير الانسانية. فهى تسير إلى الوحدة منفذة فى ذلك مشيئة خالقها.

وهو يرى أن كل ما فينا أعد لتنفيذ غاية الحياة. ففينا حب

الحياة لنستطيع ان نحيا، وفينا حب النشاط والحركة وكره السكون حتى تعمل .وفينا الجانب الحيوانى بكل غرائزه لنستطيع أن نعمل . وفينا العقل لنفهم كيف تعمل والى غاية نسير ، وفينا الضمـــير ليؤنبنا وليحاربنا اذا ماحاولنا الحياد عن الغاية المرسومة لنا . وفينا غريزة النسل لتخرج ذرية أقوى تستطيع أن تتمم ما تريده الحياة اذا ما ضعفنا أو متنا .

يعد تولستوى الشقاء الذى نشعر به نتيجة طبيعية لمخالفتنا ضمائرنا التى تفهم وحدها الغرض الوحيد من الحياة . وتنبهنا كلما حدنا عن الطريق المستقيم ، وهذا الشقاء داع الى تفكيرنا فى أنفسنا . والى شعورنا بالحياة وغرضها .

ويعلل تولستوى الحيرة والقلق اللذين يستوليان على المرء بأنهما نتيجة لأهماله واجبه المقدس فى الحياة ، واغفاله العمل ، أو لمقته الآخرين وترك معونتهم . وهذه الحيرة نفسها خطوة أولية نحو الشعور بالحياة والتأمل فيها والوصول الى فهمها .

وهو يرى فى العقيدة والايمان ملجأ حصينا من الشك والتورط فيه . اذ العقيدة النيرة الحية البعيدة عن التعصب . هى التى تدفعك الى العمل وحب الغير وتجعلك طفلا فرحا سعيدا وهى التى تجعلك هادئا قرير العين بالحياة .

قد تقول ان هذا شىء تعرفه . وانه لم يأتك بجديد . ولكن تولستوى لم يحاول ان يبهرك باراء غريبة تضعها بين آلاف الآراء ، ولم يحاول أن يتحفك بطريف الأفكار . بل أراد أن يرشدك الى منهاج السعادة فى الحياة وهو منهاج عملى جربه بنفسه فنجح فيه نجاحا باهراً .

أحب جارك . أحب لكل انسان ماتحبه لنفسك ؛ اعمل لغيرك ، ففى كل هذا سعادتك .

لاتقل ان غيرك لايعمل لهذا ، فليس معنى تقصيره أن تقصر أنت ، ولاتسأل لماذا تكون أنت الوحيد الذى يختط لنفسه هذا الطريق ،

بل اعتقد ان الناس لابد صائرون اليه ، وأن لا مرية فى أنهم منتهون الى اتباعه . فلماذا لاتوفر على نفسك شقاء ؟ ولماذا تضن على نفسك بالطمأنينة والسعادة ؟

ذلك جانب من فلسفة تولستوى . وهناك جانب آخر عالج الرجل فيه المجتمع ومساوئه ، وموعدنا به عدد قادم .

شهدى عطيه الشافعى
خريج قسم الاجتماع والفلسفة من الجامعة المصرية

من الأدب الفرنسى

الطبيعة والانسان

لفيكتور هوجو

شمسُ هذا النهار قد غربت فى … أُفقها خلفَ مكفهرّ السحاب
وغداً تعصفُ الرياحُ، ويأتى … بعدَ ذاك الظلامُ داجى الاهاب
ويَلِى الفجرُ بعد ذاك مضيئاً … مُرسِلاً نورَه خلالَ الضباب
فنهارٌ ، فليلة — خطواتُ الد … هرِ والدهرُ ممعنٌ فى الذهاب

* * *

سوف تمضى هذى الدهورُ جميعاً … سوف تمضى معاً لغير مآب
سائراتٍ على جباهِ الروابى … ووجوهِ البحارِ ذات العُباب
ومياهِ الأنهارِ وهىَ جوَارٍ … لامعاتٌ مثل اللجين المذاب
وعلى الغاب وهو يذْوى بأروا … حِ الأُلى قد قضَوْا من الأحباب

* * *

وستبقَى وجوه تلك الأواذى … وستبقى جباهُ تلك الهضاب
البوادى الغضون لا عن مشيب … أو فتورٍ فى عنفوان الشباب
وستبقى بواسق الغاب ذات الـ … خُضرة المستمرّة الجلباب
سوف تبقى على الزمان جميعاً … فى شباب مجدّدٍ وتَصابى
وستبقى الأنهارُ تحمل من تلـــك الربَى ما تلقى به فى العُباب

* * *

ذاك ، أمّا أنا فها أنا يحنى … كلَّ يوم رأسى ويُوهِن قابى
وقشعريرةُ البرودة تحت الشمـ … س أمست تدبُّ فى أعصابى
وسأقضى نحبى وشيكا سريعاً … وسطَ عيد الطبيعة المطْرابِ
وسأمضى ، فلا يَضير مُضيِّى … ذلك الكونَ أو يُحِسُّ غيابى

فخرى أبو السعود

من الادب الانجليزى

كنار يموت

للدكتور و . ج . لونج

فى الصيف الماضى ضربت خيمتى خلف عين ماء وسط الغابة ، وكنت كثيرا ما استلقى بجوارها لا لأشرب ، بل لاكون بقربها برهة لاحظ فى هدوء حبيبات سيالها البارد تنسل من ثنايا أرضها السوداء ، محوطة بفقاقع راقصة ، ثم تضرب فى زحمتها الدائمة نباتى السرخس والطحلب المحيطين بشواطىء العين ، ومن حين الى آخر كانت الحيوانات البرية تسمع نداء دعوتها الخافت لمن أحرقه العطش ، فتأتى مسرعة مهطعة . ولكنها حينما ترانى تتراجع الى مرقبها من نبات السرخس . حيث تختبىء هناك متسمعة ، ولكن الغدير الصغير يستمر فى ندائه الخافت ، فسرعان ماتخرج من مخبئها ، معتبرة اياى صديقا لها لطول جلوسى بقرب غديرها

وفى ذات يوم ذهبت الى الغدير ، فرأيت على غصن شجرة دائمة الخضرة كنارا صغيرا طالما لاحظته من قبل مستريحا بجوار الغدير ، أو متنقلا فى دعة هادئة فوق الاعشاب السندسية ، وخيل الى انه ما كان يأتى الى هنا الا لشغفه بحب الغدير مثلى ، فنادرا ما رأيته يستقى منه ، ولكنه كان دائما هناك ، لقد كان كهلا وحيدا . وقد أخذ اللون الأغبر يغير على تاجه اللامع السواد ، وأخرج له العمر الطويل قشورا كثيرة حول ساقيه ، ولم يكن لتبين عليه الرهبة أو تتملكه رعشة الخوف . فكأنما بعث فيه كر الليالى وداعة الحياة ، فكان يتحرك مبتعدا فى أناة اذا ما اقتربت من مكانه ، ولكنه لا يذهب بعيدا ، وبلغت به الوداعة أنه كثيرا ما قاربنى يظننى لاهيا عنه بتحديقى الدائم فى الغدير

واليوم قد جلس على هذا الغصن المعلق فوق مياه الغدير ، فى هدوء أكثر من هدوئه الاول ، وكان وديعا مستسلما ، حتى لم يبد نفوراً حينما مددت يدى أتحسسه ، بل اتكا فى سكون ودعة على أصبعى وأسبل عينيه فى طمأنينة ، ومضت نصف ساعة ، وهو فى حالته هذه مسرور يهتز مهوما من آن الى آخر ، فاتحا عينيه فى فترات ، محدقا بها فى اتساع ، كلما وضعت له على اصبعى نقطة من الماء الذى رواه صغيرا ، وصاحبه كبيرا . ولما أقبل المساء وصمتت ألسنة الغابة واستولى عليها سكون موحش ، وضعته فى رقة ولطف على الشجرة الفينانة ؛ حيث راح فى سبات عميق قبل أن أوليه ظهرى ، وفى الصباح كان موقعه أقرب الى الغدير الحبيب ، وعلى غصن دنى من غصنه بالأمس ، واستكن مرة أخرى فى كنف أصابعى ، ورشف فى امتنان قطرات الماء من فوق أناملى .

وفى المساء وجدته ناشبا بجذر من جذور شجرته المعهودة ، وقد تدلى رأسه الى أسفل ، وعلقت مخالبه بلحاء الجذر علوقا أبديا ، وقد لمس منقاره فى خفة ذلك الماء النمير ، وقد فتح فكيه قليلا للمرة الأخيرة ، وراح فى سبات دائم آمن ، بجوار الغدير الذى عرفه طوال حياته . وظل بجواره الى أن لفظ الروح فى جنباته ؛ بجوار الغدير الذى قبلت مياهه منقاره قبلة الوداع ، وحفظت صورته فى أعماقها الى اللحظة الأخيرة .

لقد ذهب هذا الكنار كما يذهب أغلب سكان الغابة فى هدوء وفى أمن ، بجوار الغدير الذى عاش على حبه ، ومات بقربه . وليست قصته الا مشهدا من فصل الموت فى رواية الغابة يتجدد دائما باستمرار : فحين يحس الحيوان بغريزته تدفعه الى البعد عن رفاقه ، يمعن فى البعد حتى يصل الى غدير أحبه ، ويرقد هنالك مختفيا فى انتظار الراحة القادمة ، وحينما يأتيه الموت لا يظنه الا غفوة تأخذ تعبه معها ، ثم يعود بعدها حرا طليقا ، وهناك فى رقدته الأبدية تخفيه أوراق الأشجار ، التى ألفها وألفته ؛ عن أعين أصدقائه وأعدائه على السواء . . .

محمد أبو الفتح البشبيشى

هرمن ودروتيه

للشاعر الألمانى الكبير

جوته

القهــــوة

للدكتور احمدزكى استاذالكيمياء بكلية العلوم

جمال الدين ابو عبدالله محمد بن سعيد الذبحانى شيخ من أشياخ اليمن عاش فى منتصف القرن التاسع الهجرى (منتصف القرن الخامس عشر الميلادى) وكان متوليا رياسة الافتاء بعدن، تعرض عليه الفتاوى فيقر منها ما يراه صوابا ويصحح ما احتاج منها إلى تصحيح. عرض له أمر أقتضى خروجه من عدن إلى بر الاعاجم، وأغلب الظن انه الحبشة، وعاش فى أهله دهراً يشرب معهم شراباً لم تعرفه الأعارب، فلما رجع إلى عدن مرض فتذكر الشراب فأحضر شيئا من ذلك الحب وحمصه وطبخه بالماء كما كان يطبخه الأحباش، فخف عنه المرض وذهب عنه السوء، ووجد فيما وجد من خواصه انه يذهب بالنعاس والكسل ويكسب البدن خفة ونشاطاً. وكان من أمر الشيخ بعد هذا أنه سلك طريق التصوف فصار هو وغيره من الصوفية يستعينون بهذا الشراب الجديد على السهر وقيام الليل فى التعبد والاذكار، واسموه القهوة، ومن ثم انتشر شرب القهوة فشمل الفقهاء والعوام، هؤلاء يستعينون بها على مدارسة العلوم، واولئك للمثابرة والمجالدة فى معالجة الصناعات والفنون. وبلغت القهوة مكة فشربها بعض الأشياخ والقضاة وإرتاب فيها أئمة آخرون، أما من شربها فرآها شراباً حلالا طيباً مما أخرجته الأرض بأذن الله، والله يقول «خلق لكم ما فى الأرض جميعاً» واما من أباها فرآها شراباً حراما مسكراً يحصل بشربه ضرر فى الأبدان والعقول، وكان لهم فى ذلك جدل طويل وحجاج مستفيض انقلب إلى محنة وفتنة، وكثر التعصب لها وعليها من الجانبين، وشاع التقاطع والتدابر بين الفريقين، وبلغ الغضب بنفر من الأتقياء الصالحين البررة الأطهار أن حدثوا عن رسول الله ﷺ أنه قال من شرب القهوة يحشر يوم القيامة ووجهه أسود من أسافل أوانيها

ولم يهل القرن العاشر الهجرى حتى ظهرت القهوة فى مصر، وكان أول ظهورها فى الجامع الأزهر برواق اليمن، فكان اليمانيون ومن ساكنهم من أهل الحرمين وبعض العامة يجتمعون للأذكار والمدائح على طريقتهم كل ليلة اثنين وجمعة، فتقدم اليهم القهوة فى ناجود كبير من الفخار الأحمر، وكان يغترف منها النقيب بسكرّجة صغيرة، ويسقيهم الأيمن فالأيمن، وهم على الذكر عاكفون، وكانت تذهب بالكسل والنعاس عنهم، فكانوا لا ينصرفون حتى يصلوا صلاة الصبح مع الجماعة من غير عناء ولا تكلف. وانتشرت فى الناس فاجتمعوا على شرابها فى بيوت خاصة بها وفى الاسواق

ومن هذا العهد ظلت القهوة بين مكة والقاهرة تحلل عاما وتحرم عاما. يناهضها حكام وفقهاء، ويشايعها حكام وفقهاء، تباح فتشرب فى الحرم الشريف جهراً، وتمنع فيعزر شاربها ويطاف به فى الأسواق، ويكبس العَسَس بيوتها ويخرجون من فيها على حالة شنيعة، بعضهم فى الحديد وبعضهم فى الحبال، فيسجنون ويجلدون.

ولا شك أن المعارضين للقهوة كان منهم أناس يخلصون لها الكراهة فى ذاتها لما كانوا يرون من أثرها السيء فيمن أدمنها من عامة الناس، فكثير منهم من تغيرت حواسه وساء عقله وتنكرت هيئته

ولأنها كانت تباع فى أماكن على هيئة الحانات يجتمع فيها الناس من رجال ونساء بالدف والرباب، أو بالشطرنج والمنقلة، وغيرها يلعبونها للميسر، فساء الاتقياء هذا المنظر القبيح، ووقع مشهده من قلوبهم موقع سوء

وكان من الناس من يدس الخمر فى القهوة فزادت كراهتها عند العارفين بذلك .

أما الحكام ممن كرهوا القهوة ، فكانت أغلب كراهتهم من اجتماع الناس على تلك الصورة ؛ وأوجسوا من هـذا التجمهر خيفة . ولما كان حفظ النظام من أوجب واجبات السلطان ، ولما كانت الفتنة من عمل الشيطان ، كان لابد من قتلها قبل أوانها ، وذرء بوادر السوء قبل استفحالها .

ولعل أقوى من ناصر القهوة فى هذا الصراع مشايخ الصوفية فى كل البقاع الاسلامية : أحبوا الذات الالهية وفنوا فيها وتغزلوا وشببوا بها ؛ وكأن الغزل لا يحلو إلا بالصهباء ، والتشبيب لا يكون إلا مع بنت الحان ، فاتخذوا من القهوة خمرهم ، ومن فناجينها كؤوسهم ، وذكروها وأكثروا ذكرها فى أشعارهم ، فقال ابن الفارض « سقتنى حميا الحب . . . »

وقال آخر من الأولياء الصالحين يصفها :

شرابُ أهل الله فيها الشفا	لطالب الحكمة بين العباد
نطبخها قشراً فتأتى لنا	فى نكهة المسك ولون المداد
فيها لنا تبر وفى حانها	صحبةُ أبناء الكرام الجياد
كاللبن الخالص فى حله	ماخرجت عنه سوى بالسواد

وقال آخر :

وقهوة لاغم تُبقى اذا	قابلك الساقى بفنجانها
لا يوجد الغم بحاناتها	قد خضع الغم لسلطانها
بمائها نغسل أكدارنا	ونحرق الهم بنيرانها
يقول من أبصر كانونها	أُفٍّ على الخمر وأدنانها

ولم تكد تستقر القهوة فى الشرق العربى حتى تسربت الى أوربا عن طريق القسطنطينية والبندقية فى القرن السابع عشر الميلادى . وأنشىء أول مقهى فى انجلترا عام ١٦٥٢م ، ولم تلق القهوة فى الغرب ترحاباً خالصاً كله ، فقد قامت فى وجهها معارضة شديدة على نحو ماعانته فى الشرق . ففى ألمانيا كان لابد لتحميص البن من رخصة يعطيها الحاكم ، وفى انجلترا حاول شارل الثانى أن يحرّم المقاهى باعتبارها مراكز للقلاقل الثورية والنزعات الحادة السياسية . ولكن القهوة شاعت برغم ذلك ولعبت فى الحياة الاجتماعية الأوربية فى القرن السابع عشر فالذى يليه دوراً ذا خطر كبير . ومن أوربا انتشرت القهوة فى كل بلاد الله ، وكانت اليمن مصدر البن الوحيد الى مختتم القرن السابع عشر ، فأصبح بعد ذلك يزرع فى بقاع كثيرة من أفريقية الحارة ، وفى الهند الغربية ، وفى الهند الشرقية ، ولاسيما فى البرازيل فهى البلد الذى ينتج الآن نحواً من ثلثى محصول العالم ، والبن له كالقطن لمصر ، وربما كان أشد خطراً .

والبن بذور لثمر شجرة دائمة الاخضرار ، قد تطول إلى ستة امتار والسبعة فى منابتها الطبيعية ، ولكنها تقصر عن ذلك كثيراً إذا هى زرعت ، ولهذا الشجر زهر أبيض ناصع يكتسى به عند ازدهاره ، فيكون له رونق وجمال يزيد فيها ما ينفح منه من عطر وطيب ، لذتان للعين والانف لا يطولان ، فعمر الزهر بالغ فى القصر . إلا أن الشجر يزدهر مرتين وثلاثا وأكثر من ثلاث فى العام الواحد . وتطيب الثمرة بعد ازدهارها ببضعة أشهر ، فيحدث من ذلك أنك تجد على الشجرة الواحدة ثمرات من ازدهارات متلاحقة ، بعضها وليد وبعضها بالغ . والثمرة خضراء وهى فِجّة ، فاذا أخذت فى النضوج اصفرّت ثم تستحيل إلى لون أحمر قرمزى شديد . وتجنى الثمرة باليد انتقاء أو تترك حتى تسقط من الشجرة بهزها . وهى بعد ذلك تجفف بفرشها على الأرض فى الشمس الحارة ، وقد تترك حتى تجف على أغصانها . ثم يزال عن بذور البن القشر فالذى يليه من غشاء شديد اللصوق بالبذور كان لبًّا فجف وانضمر وذلك بالدق الخفيف فى الهواوين ، أو بضرب البذور بالمطارق . وحتى الفرك باليدين يكفى لتخريجها . وهذه طريقة اليمن وما جاورها من البلاد ، ولكن بالبرازيل طرق أحدث من هذه لا تستدعى تجفيف الثمرة بل تدهك بالآلات دهكا فتفصل البذور بذلك عن لب الثمرة الطرى

ثم تحمص البذور على ما هو معروف فى اسطوانات دوارة فوق النار فتفقد بذلك مقداراً من وزنها لا يزيد على الخمس ، والمفقود ماء وبعض أبخرة تنشأ من تخلل الدهن

والسكر الذى بالبذر وشىء من الأصل الفعال بالبن المسمى « بالقهوتين » وحرارة التحميص يجب ألا تزيد على ٢٠٠° درجة مئوية بكثير وإلا فقد البن الكثير من عطره . واذا انتهى تحميصه وجب الاسراع فى تبريده . ثم يطحن بعد ذلك . ويجب ألا يطحن البن بل ألا يحمص قبل طبخه بزمن طويل فانه يفقد عطره سريعاً ، ويجب كذلك حفظه فى أوانى مغلقة فانه شديد الامتصاص للأبخرة والروائح كريهة كانت أو عاطرة فيمتص رائحة الجاز والجبن الفاسد.

وأهم أغراض التحميص اثنان : أولهما توليد الطيب فيه وتوليد النكهة التى تشهّى القهوة إلى النفوس ، فالبن الأخضر خال منهما ، وثانى الأغراض تهشيش الحب ليسهل دقه ، فالأخضر جامد مستعص ، والتحميص صناعة لا يحذقها إلا القليلون

ويحتوى البن على مواد كيماوية عدة منها عطر ودهن ، وهو كالشاى يحتوى التنين والقهوتين الذى إن شئت أسميته الكافيين وأن سئت فالشابين ، وهو الأصل الفعال فى القهوة والشاى كليهما ، ومن أجله يُشربان ، وهو لا يتغير فى القناة الهضمية وانما يُمتص كما هو فى الدورة الدموية فيذهب إلى المخ فيكون له الاثر المحمود على نحو ما فصل فى مقالة الشاى السالفة : من زيادة فى قوة الفكر واصابة الحكم وامتلاك النفس ، ولكن استحالة الافكار إلى أفعال قد تتعطل به ، فيعترى الانسان ترددٌ ، وذلك ليقظة العقل الشديدة ، ويزيد جس الانسان بكلّ ما سر وساء ، وهو ينعش الجسم ويزيل التعب عضليا كان أو نفسياً ، ويؤخر النوم ويدر البول . هذه بالطبع فوائد كلها قد تنقلب مضار بزيادة المشروب من القهوة ، فالقهوتين عُقار سام يصحب التسمم به تلهف إلى الماء وألم فى المعدة والأمعاء ، وقىء شديد وإسهال ودوار فى الرأس وإرتعاد فى الأطراف . ويتضح أثر القهوتين من حالة رجل أدخل مستشفى « بلق » بنيورك به أعراض شديدة من سوء فى الهضم بالغ ، وفقر دم متناه ، وعجز تام عن الحركة ، وأزمة فى القلب بالغة ، وضيق فى الصدر شديد . كان هذا الرجل يشرب فى اليوم ٣٠ فنجانا من الشاى بلا طعام ؟

سباع البحر كادت تكسب الحرب

مات فى الأسابيع الماضية القبطان الأنجليزى « ودوارد » مات فى بلدة « رامزجات » بانجلترا وله من العمر ٨٢ سنة . وهو الرجل الذى خطر له فى مدة الحرب أن يجرى تجربة عُدّت فى أول الأمر عرضا من تلك الأعراض التى تأتى للانسان وقد أشتد خياله واحتدو تهيأ لدخول البيمارستانات ، ولكنها عدت فى آخر الأمر تجربة لوساعدها الحظ لأنهت الحرب وحقنت الدماء ولو بغلبة فريق على فريق

تلك التجربة هى رياضة سباع البحر على تتبع الغواصات الألمانية ، وهذه السباع تشبه عجول البحر غير أنها أكبر منها ، وله عُرف بيّن وآذان كبيرة وحظ من الذكاء وافر

بدأ هذا الرجل باستئذان السلطات الحكومية ، والسلطات فى العادة مرتابة حذرة جامدة محافظة ، ولكن خطر الحرب يحرك الجامد ويذهب بالحذر ، فاذنت له وحشرت اليه مافى البحر من آساد ، فبدأ بدراسة الأصوات التى تصوتها الغواصة فى الماء ، ثم اجتهد فاخترع آلة تئز مثل أزيزها ، وفى بحيرة راض هذه الآساد على إتباع هذا النغم أين سار فى الماء ، فاصبحت تتبعها أحسن اتباع ، وفاقت فى دلالتها على اتجاه الغواصة كل الآلات الطبيعية المعروفة ، ووضعت على رءوس هذه الحيوانات البحرية كمامات من اسلاك الحديد تمنع أسماك البحر أن تقترب منها حشية أن تسترعى انتباهها فتحيد عن غرضها ، ونجحت التجربة نجاحاً باهراً . ولكن . . . عرف الألمان ذلك بطريق الوحى أو الايحاء فأجروا غواصاتهم مثنى وثلاث ورباع فهوشوا على السباع الاذان ، وخيبوا التجربة للقبطان

يوم عصيب فى جبل المقطم

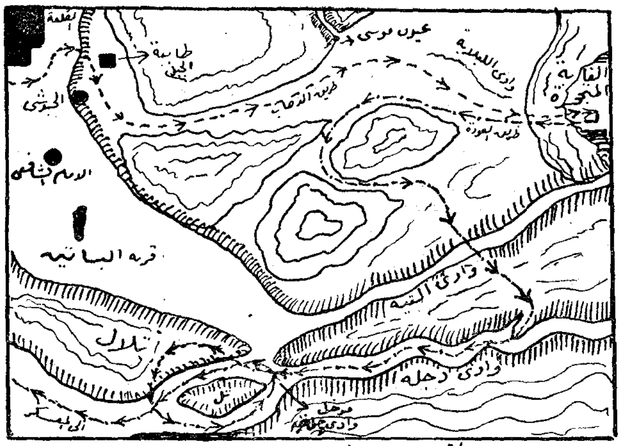
للأستاذ محمد الدمرداش محمد
مدير إدارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

– ٢ –

فى المقالة الأولى وصف الكاتب كيف ضل هو وصديقه فى جبل المقطم حتى اهتديا بعد الغروب إلى واد لهما به معرفة سابقة ، وهو وادى دجلة . فاتخذا طريقهما فيه نحو مدخله .

مضت ساعة على هذه الحال ولم نصل بعد الى مخرج الوادى ، فقال صاحبى الا من نهاية لهذا الوادى ؟ فقلت لم يبق الا ســـاعة واحدة ، فقال وماذا بعد ذلك ؟ قلت اما ان نقصد «طره» ونركب القطار الى باب اللوق ، واما أن نذهب الى المنشية عن طريق البساتين ومدافن الامام الشافعى . فقال انه يفضل الطريق الاخير ، فقلت لا بأس وعلى كل حال فالزمن اللازم لقطع المسافة فى الحالتين لا يقل عن ساعتين من مدخل الوادى — فتضجر صاحبى ونظر الى ساعته ثم قال . . أننا لن نصل الى بيوتنا قبل نصف الليل . فلم أجبه بشئ ، وبعد سكون طويل عاد وسألنى : هل من خوف علينا فى هذه الجهات النائية الموحشة من الوحوش أو اللصوص ؟ فقلت كن مطمئنا فالله معنا وهو يحمينا . فقال : كيف ذلك وليس معنا ماندفع به عن أنفسنا غير هذه العصا ــ مشيرا الى عصا قصيرة كنت احملها فى يدى ــ وقبل أن جيبه عن سؤاله عثرت قدماه بحجر كبير فكاد يسقط ، فتألم وتضجر ثم سكت ، وغشينا سكون عميق ، لا نسمع فيه غير وقع أقدامنا على أرض الوادى الصخرية وصفير الريح فى صدوع الصخور وثقوبها

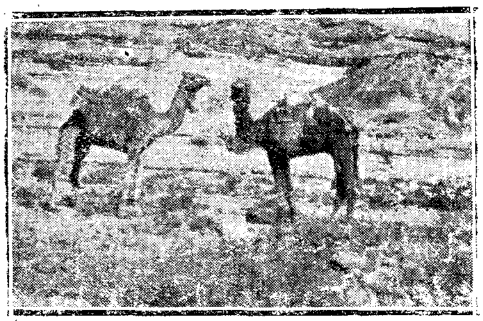
ولا أطيل القول . فقد كانت الساعة التاسعة عندما وصلنا مدخل الوادى . وما كدنا نتجه نحو بلدة البساتين حتى امطرتنا السماء مدرارا مرة أخرى ، واشتد الظلام حتى لانرى أمامنا أكثر من نصف المتر ، ولكن ذلك لم يمنعنا من الاستمرار فى السير والجد



جبل المقطم . الغابة المتحجرة . وادى التيه . وادى دجلة . طريق الذهاب . طريق العودة
عيون موسى وادى [illegible]

فيه ، ثم أخذنا نرتقى اول تل فى طريقنا وهو يرتفع عن السهل نحو ٥٠ مترا . وحدث هنا أمر كان يقضى على لولا لطف الله فى تلك الليلة الليلاء ــ فعند ماكنا نتسلق التل الى ظهره صاحبى صاحبى مستنجدا فالتفت فجأة الى الوراء لأتبين ماحل به ، وكنت متشبثا بكلتا يدى بحجر فى جدار التل ، فلم أشعر الا وقد زلقت يداى واختل توازنى وأخذ جسمى يتدحرج بعنف الى الارض ، ولكن قدرت لى السلامة ، فصدمنى حجر آخر منعنى من الهبوط بعد أن أصبت فى رأسى وركبتى اصابة بسيطة ، ولما استعدت توازنى انتصبت واقفا وأنا أكاد لاأصدق بالنجاة ، ثم سمعت صاحبى ينادينى وقد بلغ ظهر التل ، فاتكأت على عصاى وأخذت طريقى اليه وفى رأسى دوار من أثر الصدمة ، وعندما ادركته استرحنا قليلا وقد سرى عنى بعض الغم ، ثم لحظت الريح تهب من الجنوب الغربى فاستغربت ذلك وأدركت السر فى وجودنا فى مكان يبعد عن الغابة المتحجرة الكبرى بنحو ١٢ كيلو متراجهة الجنوب الغربى مع أن سيرنا منذ الظهر كان فى اتجاه الشمال حسب ظنى . فلما تغير اتجاه الريح من الشمال الغربى الى الجنوب الغربى درنا معها فى منحنى واسع من غير انتباه . فلما استرحنا قمنا متجهين نحو البساتين فبعد ان قطعنا فى التل مسافة طويلة أخذنا ننحدر نحو القرية ، وهنا انقشعت السحب وصفا أديم السماء وظهرت النجوم فألقيت نظرة على ماحولى ولشد مادهشت حين وجدتنا لانزال نسير امام مدخل

وادى دجلة قاطعين عرض المدخل من الجنوب الى الشمال؛ فكظمت دهشتى وحيرتى وعدلت اتجاهى مرة أخرى ، وعدنا فارتقينا التل مرة أخرى وبعد قليل تبين لى أيضاً أننا لا نزال نسير أمام وادى دجلة أمر غريب محير لم أرفى تعليله الا شيئا واحدا وهو ان رأسى فقد الاتجاه ! فلما صرت الى هــذه الحال أشرت على صاحبى بالجلوس للراحة ، فقال ولماذا ؟ فقلت له قد ضللنا الطريق مرة أخرى ! فما كاد يسمع هذه الكلمة حتى خارت قواه وسقط على الأرض ، وأخذت جسمه رعدة شديدة ، واقسم أنه لا يبرح مكانه ، ثم استولى عليه النعاس فنام نوما عميقا ، فجلست بجانبه وأخذت أفكر فى الامر وأنا حزين بائس ، وقام بعقلى أن أعود الى الوادى ملتمسا لنا ملجأ نأوى اليه حتى الصباح . بيد انى رأيت قبل تنفيذ هــذه الفكرة ان أقوم بمحاولة أخيرة ، فخلعت سترتى وألبستها عصاى وغرست العصا بالأرض بجانب صاحبى لتكون علما أستدل به عن مكانه عند عودتى ، ثم صعدت أعلى قمة بالقرب منا مستكشفا ماحولنا ، فأدرت بصرى فى الجهات الأربع فلمحت جهة الغرب وراء الأفق ضوءا ساطعا ظننته أول وهلة ضوء مصانع شركة الأسمنت بالمعصرة . فهرولت الى صاحبى أزف اليه هــذه البشرى فأيقظته من نومه قائلا لقد أبصرت ضوءا قويا جهة الغرب سوف يهدينى طريق السلامة . فلم يكترث لقولى — ويظهر أن النوم كان قد أراح عقــله



منظر فى وادى دجلة

وجسمه نوعا . فنهض فى نشاط وقال : هيا بنا مغمغما بكلمات لم أتبينها . ثم اعتمد على كتفى بأحدى يديه وأخذنا نسير وقد عولت هذه المرة أن أتبع مسيل الوادى من غير انحراف ، فأخذت طريقى مع مجرى السيل خطوة خطوة ، وكان جسمى وعقلى متعبين . وعيناى غائرتين ضعيفتين ، وعلى الجملة كانت حالتى سيئة ، وكنت أشعر بيده على كتفى كأنها حجر ثقيل . فكنت أنقلها من كتف الى كتف من غير أن أزعجه فى سكونه — بعد أن سرنا على هذه الحال ساعة ونصفا انكشفت أمامنا أضواء شديدة ساطعة انشرح لها صدر صاحبى وعاودته بشاشته ، فأخذ يمزح ويعيب هيئتى الرثة ، فوجهى مغبر شاحب ، وطربوشى من الأمطار فقد شكله وأصبح متهدلا كاسيا رأسى حتى أذنى ، وبدلتى تقلصت وضاقت ؛ فارتفع طرف بنطلونى ألى قرب ركبتى واسترخى جوربى ، فغطى حذائى وامتلأ الحذاء بالماء والوحل . وعلى الجملة فان شكلى كان مضحكا وهيئتى تدعو الى الشفقة والرثاء .

بعد أن فرج صاحبى بعض كربه بأمثال هــذه المهاترة سألنى فيم أفكر ؟ فقلت أنى أستغرب وجود هذه الأضواء الشديدة



منظر فى وادى دجلة

فى هذه البقعة ؛ فقال مازحا : لاتستغرب فربما كان الجن قد نصبوا لهم هنا عرسا ، فقلت نعوذ بالله فحسبنا ما أصابنا هــذا اليوم — وبينما نحن فى هذا الحوار سمعنا صوتا غريبا يرن فى الفضاء ، فوجمنا لهذه المفاجأة الجديدة ثم أنصتنا بشدة خلت معها أنى أسمع دبيب الحشرات فى بطن الأرض ، وأخذنا نحدق يمينا وشمالا عسى أن نهتدى لمصدر الصوت فلم نر شيئا . وبينما نحن فى اضطراب وحيرة رن الصوت فى الفضاء ثانية ، وكان فى هذه المرة جليا : سمعنا « هولت! » Holt : « هولت! » فقلت لصاحبى بلهفة قف : فقال ماالخطب ؟ قلت يظهر اننا فى وسط معسكر للجنود الانجليزية ، فقال ياسوء المصير ! فقلت له اطمئن ولا تخف ، وبعد قليل تقدم الينا ثلاثة من الجنود الانجليزية مدججين بالسلاح وسألونا هل معكم سلاح ؟ فاجبنا مأخوذين ليس معنا سوى هذه العصا . فقالوا تقدما ، فتقدمنا ثم قادونا الى خيمة قريبة مضروبة بالقرب من المعسكر فوجــدنا بها ضابطا شابا على كرسى وأمامه منضدة وهو مشغول بالقراءة فى كتاب أمامه . فلما لمحنا نظر الينا شزرا وسألنا وهو يتثاءب . هل أنتما هاربان من المعسكر؟ فأجبت : لسنا جنودا ، فقال بخشونة : اقصد انكما أسيران هاربان من المعسكر ، فقلت : عفوا لسنا من الاسرى ، فقال وهو يتملق فينا: من انتما اذن ؟ فقلت ، انا فلان ووظيفتى كذا وزميلى فلان ووظيفته كذا ، فكتب ذلك فى ورقة أمامه ، ثم قال . ما خطبكما ؟ فقصصت عليه

(البقية على صفحة ٤٢)

المبــــارزة

للكاتب الروسى اسكندر بوشكين

تابع لما قبــله

مرت السنون ، ودعتنى مصلحة الأسرة للعيش فى هذه القرية المظلمة فى مقاطعة « يرنا » ؛ وكم تمنيت لو أتيحت لى العودة إلى حياة الجندية وما كان لى فيها من متعة الاجتماع ولذة الشباب ؛ وكانت حياتى هنا مملة فى تشابه أيامها قاتمة لندرة حوادثها ، أقضى وقتى حتى الغداء فى التحدث الى المالك أو فى مراقبة العمال ومشاهدة المبانى الجديدة . فاذا جن المساء — وخصوصا أمسيات الشتاء والربيع الطويلة المزعجة — لم أجد ملهاة ولا تسلية ، فقد قرأت الكتب القديمة الموجودة كلها ، واستعدت من خادمتى العجوز « كربلوفنا » القصص التى تحفظها أكثر من مرة ، ولم أكن أميل الى أغانى القرويين لما فيها وفى معانيها من الحزن والألم والحسرة ، وحظى من هذا كله كثير ، أما الشراب فقد كنت أتجرع كل ما تصل اليه يدى على رداءة نوعه وحدة طعمه ، وقد تمنيت أن أكون سكيراً كهؤلاء الذين تكتظ بهم هذه القرية الغريبة .

وكان جيرانى الأقربون جماعة من السكيرين ، حديثهم زفرات متصلة وأنات متقطعة ، فكيف لا أوثر الوحدة على الاجتماع بهؤلاء ؟ ولم أجد حلا لهذا السأم سوى التبكير فى اليقظة ، والتأخير فى تناول الغداء ، حتى يطول نهارى ويقصر ليلى .

وعلى بعد أربعة فراسخ من منزلنا توجد المقاطعة الجميلة التى تملكها « الكونتس بيروفنا » ويسكن هذه المقاطعة وكيل السيدة ، أما هى فلم تزرها غير مرة واحدة فى الشهر الأول من زواجها .

وفى يوم من أيام العام الثانى لحياتى فى هذه القرية سمعت أن الكونتس وزوجها سيقضيان الصيف فى مقاطعتهما ، ولقد وصلا حقا مع حاشيتهما فى النصف الأول من شهر يونية .

وليس من شك فى أن قدوم جار غنى يعتبر حادثا هاماً فى حياة الريف ، وقد تحدث الناس عن هذا الحادث قبل حدوثه بثلاثة أسابيع ، ولا يزالون يتحدثون فيه حتى اليوم مع مرور ثلاثة أعوام عليه ، أما أنا فلم يثر فى غير الشعور بقرب سيدة شابة رائعة الجمال ، حتى اذا جاء الأحد الأول على اقامتهما تناولت غدائى وأسرعت الى قصرهما لأقدم نفسى للسيدة بصفتى جارها القريب وخادمها المطيع .

قادنى الحاجب الى المكتبة فبهرنى أثاثها البديع ومساحتها المتسعة ، هنا رفوف صفت الكتب والمجلدات فوقها على كل منها اسم مكتوب بالبرنز ، وهناك تماثيل ومرآة ، وعلى الأرض بساط أخضر عليه سجاجيد عجمية رائعة النقوش ، ولما لم أكن متعوداً هــذه المناظر المترفة شعرت بضآلة مركزى وضعة شأنى ، وداخلنى شعور غريب فيه من الحيرة والخجل ما فيه ، وأصبحت كالفلاح الساذج الذى يطلب مقابلة الوزير !

فتح الباب ودخل رجل فى الثانية والثلاثين أو يقاربها ، فما رآنى حتى هش لى وابتسم فى وجهى ... أخذت أسرد عبارات التحية المعروفة كأن أقول أننى مسرور بلقائه وأن ... وأن ... ولكنه وقفنى عند حدى بحديثه الطريف ورحب بى .

وما ان استعدت هدوء نفسى أمام ابتسامته وتواضعه حتى فتح الباب ودخلت الكونتس ، هنا اصطكت ركبتاى وانعقد لسانى ... لقد كانت آية من آيات الجمال والرشاقة ، وكم حاولت أن أحييها فلم أستطع ولاحظ الكونت اضطرابى فراح يقدمنى الى زوجته فى أسلوب عادى كأنى صديق قديم .

وجلت بنظرى فى المكتبة حتى استقرت عيناى على الصور ولم أكن من غواة الصور أو نقادها ، ولكن صورة واحدة استوقفتنى لا لما تمثله من المناظر السويسرية الساحرة ولكن لأن طلقتين اخترقتاها واحدة فوق أخرى !

التفت الى الكونت وقلت « ما أجمل هــذه الصورة ! فرد مبتسما « نعم ! وهى على جمالها لها عندى مركز خاص . هل تحسن اطلاق الرصاص ؟ »

فأجبت على سؤاله مسرعاً لاننى وجدت فرصة سانحة للتحدث فى موضوع أفهمه « أجل ! . وأنا أستطيع اصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة » وهنا تدخلت الكونتس « حقا ! . . وأنت يا عزيزى هل تستطيع أصابة بطاقة على بعد ثلاثين خطوة ؟ »

فأجاب الرجل : « لا أدرى ! لقد كنت ماهراً فى الرماية أيام شبابى . . وقد مضى على أربع سنوات لم ألمس فيها بندقية »

قلت « صدقنى يا سيدى أنك لا تستطيع أصابة البطاقة على بعد عشرين خطوة و أنا أراهنك على ذلك ، لأن الرماية تحتاج الى مران مستمر . . وأذكر أنى لم أستعمل بندقيتى شهرا كاملا أيام كنت فى الجيش لأنها كانت عند مصلح الأسلحة . . أتدرى ما ذا حدث ؟ لقد أخطأت زجاجة على بعد خمس وعشرين خطوة لا مرة واحدة ولكن أربع مرات متتابعة ! وكان لفرقتنا قائد يحب المزاح دائما فقال . أظنك تحترم الزجاجة أيها الصديق ! فالتمرين واجب . . وأذكر أن أمهر من قابلت فى هذا الضرب من ضروب

الرياضة رجل غريب كان يتدرب على اطلاق الرصاص ثلاث مرات قبل الغداء على الأقل . . وكما أنه لا يستطيع نسيان الكونياك لا ينسى بندقيته مطلقا ! »

ورأيت الزوجين يعجبان من حديثى ويقبلان على الانصات سألنى الكونت « وما طريقته ؟ » . فأجبت « سأقص ذلك عليكما . . كان اذا رأى ذبابة على الحائط . . أنت تضحكين ياسيدتى ؟ أقسم لك أن ما أقوله حق لا ريب فيه . . ثم ينادى خادمه . كوسكا هات بندقيتى ! فيأتى له بها ثم . . طراخ ! فاذا بالذبابة مسطحة على الحائط ! »

فصاح الكونت : « يالها من مهارة ! وما اسمه ؟ » فأجبت « اسمه سيليفيو يا سيدى » فانتفض الرجل واقفا وهو يقول « سيلفيو ؟ وهل عرفت سيليفيو ؟ »

قلت « أعرفه ؟ لقد كنا صديقين . . وكان سيليفيو معى فى الفرقة ؛ وها قد مضت خمسة أعوام على ذلك . . هل تعرفه أنت ؟ »

فقال الكونت « أجل أعرفه تماما . أو لم يخبرك عن حادث فريد وقع له ؟ »

— «اخبرنى كيف لطمه شاب وقح على وجهه فى مساء أحد الايام»

— «وهل ذكر لك اسم هذا الشاب الوقح ؟ »

« لا لم يطلعنى على اسمه . . آه ! » وهنا استدركت لانه يغلب على ظنى أن الشاب هو الكونت وقلت « عفوا سيدى . . لم أكن أعلم ! . ولكن يغلب على ظنى أنه أنت ! » أجاب الكونت فى ارتباك ـ أجل هو أنا . . وهذه الصورة ذات الثقب نتيجة لقائنا الاخير ! »

هنا اعترضت الكونتس قائلة « نشدتك الله يا عزيزى ألا تتحدث فى هذا الموضوع ، ان مجرد التفكير فيه يرعبنى حتى اليوم ! » ولكن الكونت لم يحقق رجاءها بل قال « يجب أن يعرف السيد كل ما يتصل بالموضوع ، فهو يعلم كيف أهنت صديقه فمن الواجب أن نروى له كيف انتقم ذلك الصديق

ودعانى الرجل الى الجلوس قريبا منه فى مقعد ذى مسند وأخذت أنصت لهذه القصة

« تزوجنا منذ خمسة أعوام وقضينا شهر العسل فى هذا المنزل ؛ وفى الحق لقد كانت أهنأ أيام حياتى لو لم تعكرها هذه الحادثة المزعجة .

« وفى مساء أحد الايام ركبت مع زوجتى للنزهة ولكن الجواد جمح بنا حتى ارتاعت زوجتى ورجتنى أن أعود بالعربة الى الاصطبل أما هى فستعود سيرا على الاقدام ، ولم أكد أصل الى الدار حتى رأيت عربة سفر أمام الباب . وقيل لى أن انسانا لم يذكر اسمه ينتظرنى لمهمة خاصة فى المكتبة . . أسرعت الى هناك فوجدت رجلا لايزال فى ثياب السفر له لحية طويلة ، وأخذت أتذكر أين رأيته قبل ذاك . .

وقال الرجل : أولا تذكرنى أيها الكونت ؟ ، وكان صوته مضطربا . . فصحت عند ذلك : سيليفو !

وأقول الحق لقد وقف شعرى من الرعب . وقال صاحبنا جئت لأطلق رصاصتى . فهل أنت مستعد ؟ ، ورأيت بندقيته بين طيات ثيابه وعددت اثنتى عشرة خطوة ورجوته أن يسرع فى مهمته لان زوجتى فى الطريق الى المنزل ؛ ولكنه قال أريد النور أولا ، لذلك طلبت الشموع .

« ثم أغلقت الباب وأمرت ألا يسمح لأحد بالدخول ، ورجوته مرة أخرى ان ينجز مهمته فرفع بندقيته وأخذت أعد الثوانى ولم أكن أفكر فى غير زوجتى حتى اذا انقضت دقيقة كاملة خفض بندقته وقال « أنا آسف جداً لأن بندقيتى ليست محشوة ببذور الكريز ! والرصاص كما تعلم صعب الاحتمال ! ولكن تعال نفكر فى المسألة مرة أخرى . . لا أرى مبارزة فيما أنا مقدم عليه . . بل هى أقرب ما تكون الى القتل ، وليس من عادتى اطلاق الرصاص على شخص أعزل من السلاح ، هيا نبدأ المبارزة من جديد فنرى أينا يبدأ . . وأعددنا ورقتين كتبنا فى الأولى رقم ١ وفى الثانية ٢ ووضعناهما فى القبعة التى أصبتها فى المبارزة الأولى . . وتناول كل منا ورقة دون أن ينظر فيها فاذا بورقتى رقم ١ وهنا صاح سيليفيو « لا أنكر أيها الكونت أن حظك حسن كحظ الشيطان ! »

« لم أفهم غرضه وأجبرنى على أن أطلق رصاصتى التى لم تصبه بل أصابت الصورة التى تراها ! »

وأشار الرجل الى الصورة التى استرعت انتباهى أول جلوسى وصار وجه الكونت أحمر قرمزيا وأصبح وجه زوجته كوجوه التماثيل الرخامية البيضاء . أما أنا فقد تعثرت بين شفتى أنة خافتة وأتم مضيفى قصته :

أشكر الله لقد أخطأته رصاصتى : أما هو فقد كان رابط الجأش ثابتاً ينتظر . . فتح الباب فجأة ودخلت زوجتى فلم تكد ترانا على هذه الصورة حتى ألقت بنفسها عند أقدامى ، وهنا استعدت شجاعتى وقلت لها ، عزيزتى ، ألست ترين أننا نمزح ؟ اذهبى واشربى قدحا من الماء ثم عودى الينا ، وعند عودتك سأقدم اليك صديقى وزميلى القديم ، ولكنها لم تصدقنى وسألت سيليفيو فى رهبة وتأثر ، هل أصدق زوجى فأعتقد أنكما تمزحان ، فأجاب ، انه يمزح دائما ياسيدتى ، اتفق مرة أن صفعنى وهو يمزح ، وأصاب

(البقية على صفحة ٤٢)

حكمت المحكمة !...

عم الأسف رجال القرية ونساءها عند ما علموا بوفاة ابنة عبد الدايم المسعودى — وهو من الأعراب الذين يسكنون الخيام فى أرضهم — فأما الرجال فقد أشفقوا على عبد الدايم لأنه فقدها وفقد أمها فى عام واحد، فلم يبق له من بعدهما من يرعى غنمه ويعنى بشئون بيته. وأما النساء فقد ذكرن أن سلمى ماتت فجأة فلم تمرض كغيرها، وأنشأن يترحمن على شبابها وحلو ابتساماتها... وتدافع الأهالى وراء نعشها يشيعونها الى مقرها الأخير. ثم أقبلوا على والدها يعزونه بكلماتهم المحفوظة وهو يرد عليهم بمثلها، فهو « عظم الله أجره » وهم « شكر الله سعيهم » ورجع الجميع الى بلدتهم ليقيموا ليالى المأتم الثلاث وليسمعوا ما تيسر من القرآن، وعند الغروب خرج أهالى كفر المعداوى كل « بطبليته » الى المأتم وعليها عشاؤه الممتاز استعدادا لأطعام المعزين من البلاد المجاورة، وجلسوا بعد الصلاة، وقد تنحنح المقرىء ايذانا بقراءة القرآن، فأنصتوا وأطفأوا سجائرهم ثم بدأ القارىء بصوت منخفض غير مسموع تدرج به قليلا قليلا حتى أصبح يغطى على همس بعضهم بالتحية لبعض، ويخفى أحاديثهم عن الشئون الزراعية — وقد بدأوها بعد أن بدأ الفقيه بقليل — بنغمات يطرب البعض لها فيمص شفتيه ويردد لفظ الجلالة اعتبارا واستحسانا. أما عبد الدايم فقد كانت تبدو على سيماه علامات التفكير العميق والحزن الدفين، ولكنه كان يتجلد للقادم فيسلم عليه ويتقبل تعزيته شاكرا.

وانقضت ليالى المأتم.... وتلفت عبد الدايم حوله فلم يجد الا غنمه ونفسه فقبع فى خيمته لا يزور أحدا، وانما كان يزوره من فاته العزاء فى حينه. وانتقد أهل القرية فيما بينهم ابراهيم افندى لأنهم لم يروه فى المأتم، ولكنهم علموا بسفره الى القاهرة منذ ايام فلما عاد لحظوا أنه لم يقم بواجب التعزية لعبد الدايم، فبرموا بغطرسته واستكباره، ولكن ماحيلتهم وهو ابن العمدة!

مرت الأيام بعد ذلك سراعا فأوشكت بفعلها أن تصرف أذهان الناس عن مصاب عبد الدايم لولا أنهم رأوا عجبا. رأوه وقد طوع للموسى أن تجذ شاربيه الطويلين وتعبث بلحيته المستعصية حتى أسفرت ذقنه بعد احتجاب طويل، مع أنهم يعرفون فى الأعراب تمسكهم بشواربهم ولحاهم، ولم ينسوا مبالغة عبد الدايم فى هذا. فلم يبق الا أن الحزن قد أساء الى عقله فحسن له جنونه أن يظهر على هذه الصورة الجديدة

وذهب الحاج عبد المطلب وهو أحد مشايخ البلد الى « دوار » العمدة فى المساء جريا على عادته فوجده جالسا فى عدد من حاشيته يتحدث اليهم فى السياسة عن مصطفى كمال وكيف طار وراء الأنجليز، ويعرج على الاقتصاد فيعلل لهم نزول الجنيا الأسترليني بتعليلات ما أنزل الله بها من سلطان. ولما انتهى العمدة من حديثه اتجه بنظره الى الحاج عبد المطلب وسأله عن جديد، فأنشأ شيخ البلد يسرد له صنوفا من الأخبار ويتبسط فى شرح تفاصيلها الى أن قال وما رأيكم فى عبد الدايم السعودى؟ يظهر أن الرجل قد جن بعد وفاة ابنته » ولم يكن العمدة على علم بما جرى للحية عبد الدايم فهز رأسه من اليمين الى اليسار هزات سريعة مستفسرا، وتسابق الجميع الى إجابته فحدثت جلبة وضوضاء نفذ لهما صبر العمدة فوصفهم بوصف البرابرة: واحد يسمع ومائة يتكلمون، وأشاح عنهم بوجهه الى الحاج عبد المطلب يسأله عما جرى فلما أخبره بأن عبد الدايم أصبح حليق الذقن والشارب تردد فى تصديق ذلك ولكنهم أكدوا له صحة الخبر فرفع حاجبيه فى عجب ودفعه حب الاستطلاع الى أن يأمر شيخ الخفراء باستدعائه.

وجاء عبد الدايم بعد قليل فدهش العمدة عند مرآه وسأله عن سبب حلقه للحيته فأجاب ساخرا إنه رأى واحدا من أهل القرية يضحك منها فآثر أن يزيلها. وقابل أحد الجالسين سخريته بمثلها فقال: « وكيف استغنيت عنها مع أنك كنت تمسح فيها يديك بعد أكل الثريد؟ » فتجهم وجه الأعرابى وجحظت عيناه وقال « لما اتسخت أزلتها » فقال العمدة « وما ذنب شاربك؟ » فأجاب « صغرت فى نظر نفسى فحلقته » وخرج مغيظاً محنقاً...

وكان بالمجلس شيخ معروف فى القرية بالنباهة ودقة الملاحظة فقال للعمدة « إن لم تخن فراستى فلا بد أن أحدا اعتدى عليه اعتداءاً خطيرا أقسم بعده — كما هى عادة بعض الأعراب — ليحلقن ذقنه وشاربه تشبها بالنساء حتى يأخذ بثأره ». فأخذت هذه الملاحظة مكانها من نفوس الحاضرين وصار كل منهم يعلق عليها بما يؤيدها، أما العمدة فقد همه الأمر وحسب لتهديد عبد الدايم حسابه، فهو داهية شديد البأس وتداول الأمر مع مشايخ البلد فأفهمه الشيخ عبد المطلب — وكان على جانب من العلم — أن من واجبه العمل على منع

الجرائم قبل وقوعها واطمأن العمدة الى هذا الرأى فعزم على تبليغ المركز وقام إلى التليفون فاتصل بالمعاون

وعلم المأمور بالأمر فضحك من عقلية عمدة المنشية الذى يجد فى حلق رجل لحيته وشاربه خطرا على الأمن العام خصوصا وأنه كان يرى فيه من قبل سذاجة وقلة حيلة ، فأمر ملاحظ البوليس أن يستدعيه ليونجه على تصرفه ويطلب اليه أن يكون فى حكمه على الحوادث أبعد نظرا وأكثر رزانة . ورجع العمدة ونفسه تفيض أسفا على تبليغ الأمر للمركز بعد ماراعته ضربات الملاحظ على المكتب ، وجرحت عزته شتائمه فكان يسب مشايخ بلده الذين حسنوا له التبليغ ويخص منهم الشيخ عبد المطلب وهو المتحذلق الذى أشار عليه بالعمل على منع الجرائم قبل وقوعها . ولكنه كان يحاسب عقله فلا يجد فى عمله مأخذا ، ويستشير ضميره فيلقاه راضيا عن قيامه بواجب وظيفته ، ثم يرجع بذاكرته إلى الماضى القريب فيذكر أنه لما قتل فى قرية بجوارهم سويلم العربى حلق ابنه جويفل لحيته وشاربه حتى أخذ بثأر أبيه فأطلقهما فى السجن ، وهكذا اختصمت أفكاره فضاع صوابه . . . .

أسدلت يد الأيام ستار النسيان على هذا الحادث حتى جاء يوم فرفع الستار . . . . فى صبيحته امتطى ابراهيم افندى صهوة جواده يقصد السوق فعاد الجواد يعدو إلى مربطه بعد قليل وكان العمدة مطلا من شباك داره فلما رآه انخلع فؤاده لأن ذلك معناه أن سوءاً حل بولده . ونزل يجرى فى الطريق الموصل إلى السوق منفعلا هائجا فلحق به أهل القرية من كل صوب ولم يذهبوا بعيدا حتى وجدو ابراهيم أفندى ملقى بجوار مزرعة للقصب يتلوى ألما ورأوا أن رصاصة استقرت فى فخذه

يا لهول الفاجعة ! ! حتى أبناء العمد يعتدى عليهم ! ! ولم تحم الشبهات إلا حول عبد الدايم فانبث الخفراء فى أزقة القرية يبحثون عنه بعد أن لم يجدوه فى خيمته ، واهتزت الأسلاك تنقل الخبر إلى النيابة ؛ أما الجريح فقد نقل إلى مستشفى الزقازيق ليسعف بالعلاج . وبعد برهة وصل وكيل النيابة ثم تبعه ضابط المباحث على رأس قوة من البوليس ففتشوا بيت عبد الدايم فلم يجدوا شيئا يفيد التحقيق ، فخطر لضابط المباحث أن يفتش مزرعة القصب لأنه استبعد أن يظل عبد الدايم محتفظا ببندقيته ، ورجح أن يكون قد ألقاها فيها فبعثر رجاله فى انحائها وإذا برجل منهم يعثر على بندقية . . وإذا بالبندقية حديثة الطلاق . . . وإذا بكل من رآها يشهد أنها لعبد الدايم

اكتفت النيابة بهذا الدليل فقبضت على عبد الدايم ولكن سر الجناية ظل غامضا حتى وصل اليها بلاغ من مجهول يقول فيه « لقد علمت من أحد المصادر أن سلمى عبد الدايم المسعودى لم تمت ميتة طبيعية وإنما قتلها أبوها لأنه علم باتصالها بابراهيم افندى بن عمدة كفر المعداوى . وقد كان يمكن كشف هذه الجناية فى حينها لو أن طبيب المركز رأى الجثة قبل دفنها ، ولكنه صرح بالدفن مكتفيا بقول حلاق القرية إنها ماتت بسكتة قلبية » فانتقل وكيل النيابة فوراً مع الطبيب الشرعى إلى قبر سلمى وأمر بأخراج جثتها وقال الطب كلمته فاذا بها ماتت خنقا . . . . وختمت النيابة أبحاثها وبدأت التحقيق . . . . .

س — ابراهيم افندى يقول إنه رآك تطلق عليه الرصاص

ج — أبداً

س — وماذا تقول فى البندقية التى عثرنا عليها فى القصب وهى لك ؟

ج — لم تعد لى بندقية منذ أخذها الأنجليز منى وهم يجمعون السلاح فى سنة ١٧

س — وابنتك سلمى ؟ لدى النيابة شهود يقررون أنها لم تمرض مطلقا وأنهم رأوها أمام خيمتها قبل أن تموت بقليل ؟ فهل مرضت وشكت واحتضرت وأسلمت الروح فى أقل من ساعة ؟

ج — هو كذلك ، فانها ماتت بسكتة قلبية

س — ولكن الطبيب الشرعى أثبت أنها ماتت خنقا

ج — اذن تكون قد خنقت نفسها

س — ولماذا حلقت ذقنك وشاربك بعد موتها ؟

ج — خطر لى أن أتزوج فحلقتهما كى أبدو صغير السن

س — ولكنك قلت فى مجلس العمدة كلاما يستفاد منه أن أحدا اعتدى عليك فحلقتهما حتى تأخذ بثأرك

— ج لم أقل ذلك وانما كنت أسخر من قوم رأيتهم يسخرون منى

س — لقد وصل الى علم النيابة أنه كان بين ابنتك وبين ابراهيم علاقة وأنك من أجل هذا قتلتها وأردت أن تقتله

فضرب الاعرابى جبهته فى عصبية ويأس ورمى وكيل النيابة بنظرة شزراء ثم اندفع يقول اذن فاسمع . انى اعترف بأنى قتلت ابنتى وانى أطلقت الرصاص على ابراهيم . خذنى الى السجن فانى أريد أن أتلهى بأشغاله الشاقة عن لؤم الناس وظلم القانون

واقفل المحضر بعد أن تليت عليه أقواله فأقرها وأمضى . . .

السيد أبو النجا

الكتب

ضحى الاسلام

أو

أحمد أمين

— ٢ —

ضحى الاسلام كصاحبه شديد الوضوح ، سديد المنهج ، غزير البحر ، جم التواضع ، تقرأه فتتسابق معانيه الى فهمك ، وتتساوق أغراضه الى ذهنك ، فلا تشك فى أن مؤلفه قد استبطن دخائل موضوعه ، وأحاط بأصول بحثه وفروعه ، لأن المعنى اذا اتضح فى الذهن واتسق فى الشعور أسفر عنه البيان فى أشراق وسهولة وقوة ، وما يتعقد الأسلوب الا من غموض الفكرة أو طموس الصورة أو ضعف الملكة .

اسمع صاحب الضحى أو اقرأه تجده فى حاليه واضحا صريحا ثقة ، لأنه يتكلم عن روية ، ويشرح عن فهم ، ويكتب عن تفكير ، ويؤلف عن دراسة ، أما فترة الشك والتردد فنهايتها بداية عمله ،

موضوع الكتاب الحياة العقلية للمسلمين فى القرن الأول من العصر العباسى ، والعقلية الاسلامية يومئذ كانت أشد العقليات تركيا ، وأكثرها تعقدا ، وأوفرها نتاجا ، لأنها مزيج عجيب من آثار شتى لجنسيات متعددة ، وحضارات متنوعة ، وثقافات مختلفة ، فتحليل هذا المزيج الى عناصره الأولية كما يفعل الكيميائى ، ورد هذه القوة الناتجة الى قواها البسيطة المحركة كما يفعل الميكانيكى ، أمر لم يضطلع به الى اليوم غير احمد أمين ، لأن الوسائل التى تهيأت له من مواهبه ومكاسبه وبيئته وعصره لم تتح مجموعة لأحد من قبله ، فلو أنه اجتمع لمؤرخينا السالفين مع سلامة الفطرة ، ونفاذ البصيرة ، وسعة الاطلاع ، الوقوفُ على علوم الاجتماع ، ومذاهب النقد ومناهج البحث » لما تركوا لنا التاريخ على هذه الحال المضنية من النقص والمبالغة والفوضى ، ولكن هذا التاريخ الذى قنع بأخبار الحرب والفتح ، والولاية والعزل ، والولادة والوفاة ، واغفل الكلام فى تبدل الأحوال والأطوار ، وتغير الميول والافكار ؛ وتطور العادات والمعتقدات ، فى طبقات الأمة ، هو نفسه الذى استخلص منه احمد أمين كتابيه فجر الاسلام وضحى الاسلام على هذا النهج الواضح والنسق المطرد ! فاعتبر فى نفسك أى عقل استجلى هذا الغموض ، وأى فكر أستغل هذا النقص ، واى صبر ساعد هذا الجهد !

سار المؤلف فى تحرير كتابه على خطة سديدة ، وتبويب متناسق . فجعله جزءين متساويين : بسط فى الاول العوامل التى أثرت فى العقلية الاسلامية وهو الذى ظهر ، وفصل فى الثانى الآثار التى نشأت عن هذه العقلية نفسها وهو الذى سيظهر . ثم كسر كلا من الجزءين على بابين : فالاول على الحياة الاجتماعية وعلى الثقافات الدينية والمدنية ، والثانى على الحركات العلمية ومعاهد العلم وحرية الفكر ، ثم على المذاهب الدينية وتاريخ حياتها وأشهر رجالها وأهم احداثها

فموضوع الجزء الذى فى يدينا الآن اذن هو العوامل المؤثرة فى الحياة العقلية الاسلامية فى شباب الدولة العباسية ، وهذه العوامل أما مادية نشأت من طبيعة الاجتماع كاختلاف الأجناس ، وصراع الطوائف ، ونظام الرقيق ، ومظاهر الترف من مجون ولهو ، ونتائج البؤس من يأس وزهد ، الى غير ذلك مما استوعبته فصول الباب الاول الستة وأما أدبية نشأت من تداخل الثقافات الفارسية ، والهندية واليونانية ، والعربية ، واليهودية ، والنصرانية ، وما يتبع ذلك من تمازج الآداب والمعتقدات والأنظمة ، وقد استقصى المؤلف أطرافها فى فصول الباب الثانى الستة .

وهذا الوضع المنطقى المحكم قد ضمن لآراء الكتاب

أن تطرد ، ولأجزائه أن ترتبط ، ولأبحاثه أن تتجمع ، فجاء من حيث التأليف مدمج الفصول ، مرسوم الوجهة ، محدود الغاية ، بريئا مما يجره عدم الخطة أو فسادها من استطراد مشت فى جهة ، وأخلال مرهق فى جهة أخرى ، وتلك مزية قل أن تجدها فى كتاب

صاحب ضحى الأسلام شديد اليقظة ، مستقل الرأى ، لا يعرض قولا دون مناقشة ، ولا بحثا دون تقدمة ، ولا رأيا دون دليل ، ولا تشعر وأنت تقرأه أن هناك رأياً معينا تسلط عليه ، أو فكرة سابقة أثرت فيه ، فهو يخطىء (جولدزهير) ، كما يخطىء ابن خلدون ، ويعرض الثقافات الدينية المختلفة بميزان واحد ولسان واحد

تبدو هذه اليقظة ، ويتجلى هذا الاستقلال ، منذ الكلمة الأولى فى الكتاب ؛ أذ يفطن إلى الخطأ الذى جره على بعض المؤرخين الكسل والتقليد فى تصويرهم سقوط الأمويين وقيام العباسيين حداً فاصلا بين حياتين مختلفتين للأمة الأسلامية ، تبتدىء الثانية عند انتهاء الأولى ، ثم يتجليان فى سائر الفصول وعلى الأخص فى الشعوبية والاسترقاق والزندقة ، فليس وراء ما كتبه فيها مراغ لمستزيد

وصاحب ضحى الأسلام أديب بارع ، وعالم ضليع ، يظهر أدبه فى الصور التى رسمها كصورة الرشيد ، والتراجم التى وضعها كترجمة ابن المقفع ، وتلك الصورة وهذه الترجمة نموذجان عاليان لكاتب التاريخ ومؤرخ الأدب . ويتحقق علمه فى كثرة المصادر التى رجع اليها ، ووفرة النتائج التى حصل عليها ، وعرضه للثقافات ، ولا سيما الهندية ، عرضا ينم عن اطلاع واسع واستقراء دقيق وصبر نادر ،

وكل ذلك والتواضع الاصيل فى الطبع يأبى للمؤلف أن يصدق ما يقوله العلماء ، والمستشرقون من أنه مثال الباحث الجامعى الحق ، وكتابه نموذج البحث العلمى الصحيح

الزيات

الرسالة والاعلان

جولة فى ربوع أفريقية

لمحمد ثابت

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

ليس من السهل أن نجد فى هذا القطر كله لمحمد ثابت ضريبا ولا شبيها فى حبه للرحلات البعيدة ، وفى التضحية بوقت نفيس ومال أنفس ، فى سبيل ارضاء هذه الرغبة السامية ، التى تدفعه فى كل صيف إلى أطراف العالم ، لكى يرى بعينيه تلك الأقطار البعيدة التى طالما سمع عنها وتاقت نفسه لمشاهدتها . . وأى امرىء لا يملكه الاعجاب الشديد حين يرى محمد ثابت ينفق من ماله القليل الذى ادخره بكثير من حرمان النفس ، ينفق عشرين جنيها كاملة من أجل رحلة بالسيارة من (كمبالا) على بحيرة فكتوريا الى (فورت پورتال) على سفح رونزورى — مسافة لا تزيد كثيرا على ما بين القاهرة والاسكندرية - لكى يمتع الطرف بالتأمل فى تلك الجبال الشامخة ساعات قلائل ، وقد اختفت قللها تحت غشاء كثيف من السحاب والضباب . ثم يعود أدراجه الى كمبالا لكى يستأنف سياحته الطويلة .

وفى المصريين كثير ممن ينزحون عن قطرنا صيفا . . . ولكن هؤلاء لهم شأن غير شأن صديقنا ثابت ، وقصة غير قصته . فهؤلاء قبلتهم إما فيشى أو كارلسباد يتداوون بمائها الشافى مما أنزلوه بأجسامهم من نتائج الافراط أو التفريط . أو قبلتهم باريس حيث يحيون حياتهم فى القاهرة ، يجلسون النهار كله وشطرا من الليل فى مقاهى مدينة النور - وهم لا يرون من نورها شيئا - يقضون وقتهم قعودا كسالى يتحدثون وهم فى ميدان الأوبرا بذلك الصوت المصرى الجهورى فيسمعهم جميع من بالبوليفارد ، يعلنون عن أنفسهم ، وما فى أنفسهم شىء يستحق الاعلان ، ومنهم من هو شر من هذا . . وأى شر ! ولكن مالى أكدر نفسى بالكلام عن هؤلاء وأنا أريد أن ينشرح صدرى بالكلام عن محمد ثابت ؟

منذ ثلاثة أعوام جال محمد ثابت فى ربوع أوربا ، فلم يزل ينتقل من قطر الى قطر حتى بلغ جزيرة أيسلنده وكان من الدائرة القطبية قاب قوسين أو أدنى . . . وفى الصيف التالى يمم شطر المشرق وجال فى بلاد الهند والصين واليابان ؛ وفى الصيف الماضى حملته السفينة باسم الله مجراها ومرساها الى شرق أفريقية وجنوبها . فاخترق خط الاستواء للمرة الأولى — إذ لا أظنه اجتازه فى

جولته الأسيوية ــ ثم عاد الى مصر بطريق البر والنهر ــ نهر النيل ــ مجتازا بلاد كنيا وأوغنده والسودان المصرى .

* * *

وإنى ليحزننى أن اعجابى الذى لا حد له بالرحالة محمد ثابت لاينصرف الى الكتاب الذى بين يدي الآن (جولة فى ربوع افريقية) فان شخصية المؤلف لم تنصف شخصية الرحالة . ولم تقم بالواجب نحوها .

فتحت (جولة فى ربوع افريقية) وأنا أتوقع أن أطالع كتابا يصف لى رحلة المؤلف وحركاته وسكناته بدقة ، ويصور لى كل شيء رآه ، وما مر به من الحوادث . لكى أشعر أنى معه الازمه فى رحلته أسافر كما يسافر وأرى مايرى . وهذه هى اللذة الخاصة التى أجدها فى مطالعة كتب الرحلات . لكن محمد ثابت لم يفعل هذا بل أخرج لنا كتابا يتضمن بيانات ــ لا أنكر أن أكثرها نافع مفيد ــ عن جغرافية شرق افريقية ، وقد ضاع حديث الرحلة بين الفصول الجغرافية كما تضيع قطع الذهب وسط أكوام من التراب فكنت أجده لأقل المناسبات يترك موضوع الرحلة تماما ، ويأخذ فى كتابة فصل جغرافى فى شيء من الأسهاب ، ولكنه خارج عن موضوع الرحلة . ففى صفحة ٧٦ بيان طويل عن السكر وزراعته لافى افريقية وحدها بل وفى غيرها من الاقطار ، ويتكلم فى صفحة ٥٦ و٥٧ عن بلاد روديسيا والكنغو مع أنه لم يرهما ولم يمر بهما ، ويكتب فصلا طويلا عن جبل كلمنجارو مع أنه رآه عن بعد مائة كيلو متر . وفصلا عن تاريخ اوغنده أو عن نقل السفن الى بحيرات فكتوريا منذ عشرات من السنين . وبيانا عن الكركدن ولم يره وفصلا طويلا عن الشلوك اقتبسه من دراسته الخاصة لا مما رآه فى رحلته

وهذه التفاصيل الخارجة عن الرحلة قد طغت على حديث الرحلة حتى لم يبق منه الا القليل . وانى أريد أن أذكر لصديقنا الفاضل أن أمامنا كتبا كثيرة نستخلص منها تاريخ إفريقية وجوغرافيتها . ولكن الذى بنا إليه شغف شديد ، والذى يستطيع هو وحده أن يعطينا إياه ، هو كتاب عن رحلة محمد ثابت . ولهذا كان أمتع فصول الكاتب على الأطلاق هو ذلك الجزء الذى يصف لنا فيه كيف منع من دخول جنوب إفريقية ، وكيف جنت عليه مصريته فى تلك الأقطار النائية . هذا الفصل للقارىء هو بمثابة الجوهرة وسط الأحجار .

ويخيل الى أن محمد ثابت لم يكن يكتب مذكرات (يومية) أثناء رحلته . ولو فعل لكان لديه محصول وافر يغنيه عن تلك الفصول الجغرافية . وانك لتقرأ الكتاب فلا تستطيع أن تستبين منه تفاصيل حركات السائح . فقد دخل (نيروبى) ولكنه لايذكر لنا فى أى تاريخ نزل بها . وبات ليلة فى (ناكورو) فلا يخبرنا أين بات . ويمر بأوغنده ويقضى بها أياما ، ولكنك لاتعرف متى دخلها ومتى خرج منها . ولست أستطيع أن أعزو هذا الاغفال الا لشيء واحد هو أنه لم يكتب مذكرات يومية أثناء السياحة . ولهذا أرجو منه فى سياحته المقبلة ألا ينام ليلة قبل أن يدون مشاهدات يومه . وسيرى القراء الفرق بين الكتاب الجديد والقديم .

* * *

بقى أنى وجدت هفوات يسيرة أريد أن أنبه المؤلف الفاضل اليها وهى (ص ٦) أن لفظ Periplus عنوان كتاب لا اسم أحد المؤلفين ، وشيبا وسبأ كلمة واحـــدة (ص ٧) فيقال بالانكليزية ملكة شيبا وبالعربية ملكة سبأ وهى بعينها السيدة الفاضلة التى دخلت صرح سليمان وحسبته لجة . . ونهر النيل (ص ١٦٩) لم يعد أعظم نهر فى العالم ، لامن حيث الطول ولا من حيث مقدار مايجرى فيه من الماء . . ديطليموس الجغرافى (ص ١٦٩) لم يعش قبل الميلاد بل فى القرن الثانى بعد الميلاد وغابات ايثورى فى الناحية الغربية لجبال رونزورى فلا يمكن أن ترى من حصن يورتال . والغورلا ياسيدى ثابت حيوان ليس له ذنب (ص ١٩٧) فقد اضطر الى أن يستغنى عن هذه الزائدة استعدادا لان يكون انسانا مثلى ومثلك ومثل كواكب السينما ، وأخيرا لا أوافق المؤلف على أن قطن الجزيرة يزرع فى الشتاء ويحصد فى الربيع . . بل يزرع فى أواخر الصيف (ابتداء من اغسطس) ويحصد فى الشتاء ابتداء من يناير . (ص ٢٦٩)

وإنى لأرجو لصديقنا السائح الفاضل رحلة سعيدة فى الصيف الآتى وأن يتحفنا بعدها بكتاب عن تلك الرحلة وعن نفسه لاعن شيء آخر

المبـــارزة

بقية المنشور على صفحة (٣٦)

قبعتى برصاصته وهو يمزح ، ومنذ دقائق أخطأنى وهو يمزح أيضا ، والآن جاء دورى لأضحك قليلا ! ، ثم استعد ولكن زوجتى جثت بين قدميــه . . . عندئذ قلت لها ، انهضى ياعزيزتى! ألا تخجلين من نفسك ؟ ؛ ثم وجهت حديثى اليه وقلت له هل تريد أن يغشى على هذه السيدة ؟ فلتطلق رصاصتك! قل نعم او لا ! فأجاب : لن أطلق رصاصتى فقد تم غرضى، ها أنت ذا ترتعد من الخوف وهاهو ذاوجهك كوجوه الموتى ، ، وهذا كل ما أطمع فيه . . ولكن اذكر أنى أعطيتك فرصة ثانية وكنت أظن أنك لن تخطئنى ... لن تنسانى بعد الساعة . .سأتركك لضميرك يرى رأيه فيك ! ،

واتجه نحو البـاب ، ثم التفت الى الصورة دون أن يستعد وأطلق رصاصتـــه فوق رصاصتى تماما ! وهنا أغمى على زوجتى ولم يستطع الخدم الوقوف فى وجهه، وقد كانت الأبواب تفتح أمامه فى سرعة حتى وصل الى عربته ومضى . . أما أنا فلم أعد الى نفسى الا بعد مدة طويلة »

الى هنا انتهى حديث الكونت ، وهكذا سمعت هذه القصة الرائعة ولم أر بعد ذلك سيليفيو ولم أسمع عنه الا أنه قاد جماعة من الثوار فى الفتنة التى أشعلها « اسكندر ابسلانتى » وأنه قتل فيها عند ماكان العدو فى (سكوليانى) . . . ؟

عبد الحميد يونس

يوم عصيب

بقية المنشور على صفحة (٣٤)

حكايتنا بايجاز ، فلم يكد يسمع طرفا منها حتى اعتدل فى كرسيه والقى الكتاب جانبا ، وأصغى الينا بانتباه ، وما كدت انتهى حتى مد يده الينا مصافحا ثم غمرنا بلطفه وكرمه ، أمر لنا بكرسيين من القماش فجلسنا، ثم أمر لنا بقدحين من الشاى وبعض البسكويت فشربنا واكلنا ، وبعد ان شكرته على احسانه وجميل عواطفه قال ان واجبه يقضى عليه بعد ان سمع قصتنا ، وتحقق من صدقنا ان يخلى سبيلنا ، ولكنه يرى أننا فى غاية التعب والضعف ، فهو يدعونا لنكون فى ضيافته حتى الصباح ، فشكرته كثيرا على معروفه واعتذرت اليه ثم رجوت منه أن يأمر لنا بمرشـــد يقودنا الى محطة السكة الحديد ، فقال ولماذا لا تمكثان هنا هـذه الليلة ؟ فقلت ألا ترى يا سيدى اننا فى الساعة الثانية صباحا ولا بد أن أولادنا الآن فى قلق شـديد على مصيرنا . وقبيح بنا أن نطيل عذابهم أكثر من ذلك ، فاطرق قليلا ثم أنعم النظر فينا وقال : حسنا هيا بنا . فاركبنا سيارة أقلتنا الى محطة طره ، ثم ركبنا القطار الى باب اللوق ، ومنها قصـــدنا منزلنا شاكرين لله سبحانه فضل العناية والرعاية .

الدمرداش محمد

مطبعة فاروق (محمد عبدالرحمن)

٢٨ شارع المدابغ القاهرة